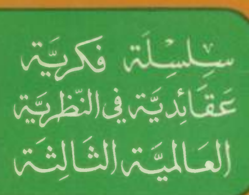




كتاب
الزحف الأخضر
5

علي محمد الأصفر

قراءة في الأدب الثوري

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

كتاب
الزحف الاخضر

كتاب
الزحف الاخضر

علي محمد الاصفر

قراءة في الأدب الثوري

منشورات
المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الطبعة الأولى
1976 م
الطبعة الثانية
1391 و. ر 1982 م

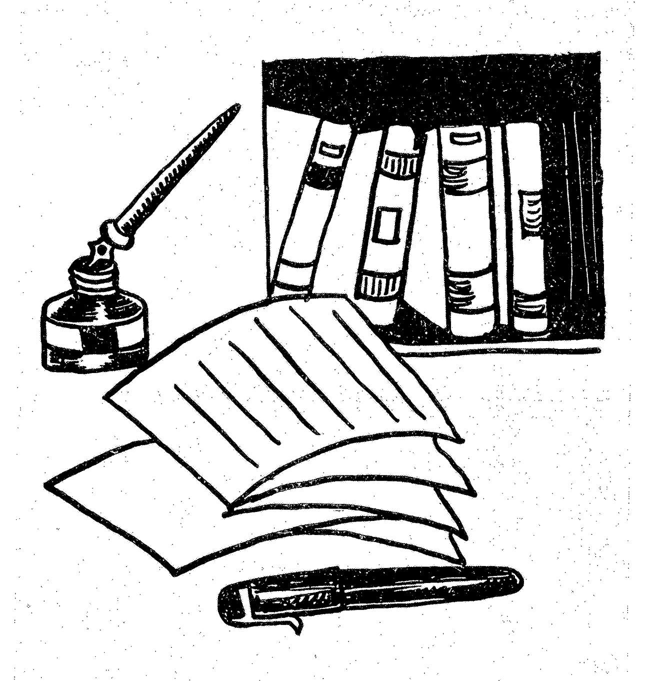


المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

محتويات الكتاب

قراءة في الأدب الثوري







الأدب الإنساني الرائد يؤكد دوماً في تناولاته المختلفة ، قيمة الانسان التي تسمو عن الامتلاك الأناني والرغبات الغارقة في الاستحواذ اللامشروع والتفكير الموغل في النرجسية . . اذ يقدم هـذا الأدب الثـوري (الإنسـان) قيمـة مجـردة من كماليات الترف المادي الخادع ، والترف الفكري المعانق للهامشيات . . يقدمه قيمة روحية تفاعلية ابداعية . . حيث كـل منطلقـاته تحضن التـطلع الانساني الرائـع . . الباحث أبـدا في ايجاد غـد متحـرر من قيـود التخلف والقهـر . . مسقـطا الرجعية في اتون مخططاتها المكبلة لحرية الانسان والمطبقة على طموحات الانسان ، ومغيرا مسيرة

حياتيه اتسمت بكثير من السلبية والاتكالية والتخاذل النفسي .

فالانسان وهو المرحلة التي انفلتت من كافة انواع التسلسل التفسيري للتفاعل البشري السلوكي حيث نجد ـ المخلوق الآدمي ـ (البشر) ثم التفريق في التكوين الجنسي عضوياً فقط ـ ذكر وأنثى ـ ثم الارتقاء إلى الوضع الرجولي والنسوي ـ وهو على قدر سواء . . وأخيراً ـ الانسان ـ الذي أضحى مكتملا فكراً وعملا . . وهذا الوضع الأخير لا يستحقه الا أولئك الذين أجهضوا كل محاولات التكبيل . . وحطموا كل أدوات الانصياع لمخلفات الفكر الترفي . . وصنعوا طريقهم المؤدي الى تحقيق الغد الوضاء بسنا الحرية والاشتراكية الجديدة والمضي نحو التحقق الاكتمالي للوحدة القومية .

فالأدب الانساني اذن هو نتاج التفاعل الأمثل

لجميع الأفكار الملتزمة بقضايا البشرية طرحاً ومعالجة وتحديد رؤى وتقييما ثورياً للواقع ورسماً جاداً للغد .

والأدب الذي لم يتم انحيازه بالكامل للجماهير ولم يعانق قضاياهم ويواكب مسيرتهم حاثا ومرشدا ومحرضاً . . هو أدب في منأى عن حقيقة دوره وعن واقع تحركه . . وهذا النوع الأخير من الأدب هو السائد عبر آداب الكتاب ـ ولم أقل الشعوب ـ لأنه ما زال يجتر افكاره التقاليدية المتقلبة والمتلونة والمستبدلة دون أن يرتقي إلى درجة التغيير شكلا ومحتوى .

فالسائد من الأدب في عالمنا المعاصر تلك التي تمجد وتؤله وتبرز القلة وتسمو بالصفوة المحتكرة للفكر . . وهذا النوع يؤكد في نتاجه على سلبيات الحياة بنظرة يغطيها التشاؤم . . وان كانت ثمة ومضات من بعض الكتاب ـ وهم قلة ـ فمصيرها

الاجهـاض والاضمحـلال أمـام الـلامتنـاهي والاسقـاط الحضـاري الـزائف خـاصـة وجـذوة الاستمرار تبدو خافتة .

وان خـالف هـذه القـاعـدة ـ وهي الـواجهـة المبـاشـرة التي تميـز الكثـير من ـ الأدب ـ بعض الارهاصات الثـورية والمبشـرة بالانعتـاق والتغيير والمتطلعة بشيء من التفاؤل نحو الغد المشرق . . فان جملة تلك الأعمال أمام ما أفرزته في المقابل غير خاضعة ـ للنسبية ـ نظراً لضآلتها وقلة كمها .

وانطلاقاً من ذلك الواقع الذي نرفضه وبشدة لنؤكد على واقع جديد مادته من الجماهير بصيغ شعبية وبقضايا انسانية وبمعالجة موضوعية وبرؤى تقدمية . . ذلك لأن زمن الإيقاع الجمالي المخملي والتصـور لأشباه الحلول وانصـافهـا أو مـا لفق منها . . هو زمن في الواقع قد ولى وأدبر ولم يعد

له بيننا موقع .. وليست هذه دعوة للتخلي عن الجمـــال ولا عن الاجتهـاد في تقــديم الحلول الطبيعية ولكن هي دعوة للحد من الايغـال في التنميق .. ودعـــوة للتنقيص من الشـــطحـــات الوجدانية الخالية من الصدق الروحي .. وبالتالي هي دعوة للإلتزام والصدق والتعامل الأمثل .

وإذا اكتفينا بمثل هذه ـ المقدمـة ـ عن الأدب الثوري الانساني الصادق لئلا تصبـح نوعـا من الاسهاب غير المضيف شيئا جديداً ، فإن التحول الى ذكر بعض الأنماط الفنية لتجسيد هذا الأدب المؤثر وهي الخاصية التي لا بد ان يتسم بها هذا العمل .. حيث سنتعرض بالقراءة الى المفردة ثم ـ أداة الكتـابة .. فـالمتناول .. فـالقضية .. ثم المتلقى الذي هو أصل كل شيء .. وبعضا من نماذج هذا الأدب .

وهي الأداة الصغرى في تكوين الشكل الكامل لبنية الجملة والتي بها ومن خلالها يتعرف (المتلقى) على المادة المطروحة وعليها ـ أي المفردة ـ تتوقف امكانية مواصلة رحلة القراءة مع المطروح أو الكف عن تقبلها ورفض الغوص في المادة المراد تحقيق هدفها . . فالمفردة اذن هي وسيلة متواضعة لتحقيق جانب من دفع المتلقى لمواصلة القراءة وعليه فلا بد لها من توفر جملة من الجوانب كشرط لتقبلها كأن تكون : ـ

- قوية المعنى .
- ذات ايقاع جدي ورصين .
- غير مبتذلة ولا تبعث على أكثر من تأويل .
- مباشرة وغير عامية .

بحيث يصبح التكوين العام في الجملة من

خلال عناصر المفردة صادقاً وجاداً وملتزماً وبعيداً عن الهزل المتردي أو الابتذال اللامسؤول .

والسبب الرئيسي في أن تكون المفردة ومن ثم الجملة على هذا النحو يرجع الى أن القضايا المعالجة هي الرامية الى تغيير شمولي واحلال واقع لا يرتقي اليه الخواء الفكري أو الاسقاط الأناني الأجوف أو الزخرف اللفظي المنبعث من خلال كوة البهرج الحياتي الزائف .

والمفردة أو اللفظة ـ والجملة ـ فيما بعد ـ تحددان الشكل العام للعمل الأدبي سواء أكان رصدا أو تقييما أيجابيا أو تصورا ملتزما من خلال معطيات الأدب العام في كل مظاهره الفنية . من مقالة أو بحث أو دراسة . . من قصة أو رواية أو فعل مسرحي . . من شعر أو لوحة .

فكلما كانت المفردة شاملة لما تقدم كلما كان

العمـل الأدبي قـويـا ورائعـا ومحققـا لأهـدافـه الانسانية . . لأن الأديب أو الكاتب الثوري الذي يدقق في اختيار مفرداته ويحسن انتقاء جمله . . هو قطعا الذي يحاول أن تكون مادته الأدبية على قدر هائـل من النضوج والتمكن وبـالتالي تحقق التأثر والمعالجة الايجـابيتين والـذي يطمـح اليهما الكاتب .

ـ أي الأدوات الأدبيـــة أقـــرب الى المتلقي وماهيتها ؟

هذا ما سنجيب عليـه في الصفحات التالية .

إذا كنا قد تناولنا « المفردة » في تكوين البنية العامة للجملة ـ عبـر الأدب الثوري الـرائد . . وأكدنا على خصائص تلك « المفردة » فإن مواصلة التناول لجانب آخر هو ـ هيكلية ـ العمل الـذي تشكل الجملة الشكل المظهري لـه . يبدو مهـما وعلى قدر هائل من القيمة الأدبية . .

فالكاتب الثوري وقد تشكلت عنده ـ « المفردة » وبالتالي الجملة يبحث عن القالب الأدبي الذي يصوغ من خلاله أفكاره ، وهنا تبدو أكثر من أداة ـ كتابية ـ تحقق الغرض . . حيث :

○ المقالة ، التي من خلالها يطرح الكاتب فكرا أو تحديث قضية ـ سبق تناولها من قبل دون الايفاء بجوانبها .

○ الدراسة ، التي توجد عند التأكد من عدم قدرة « المقالة » على طرح القضية أو جملة القضايا وتحديد مسارها المنهجي وتقديم النتائج المتوقعة .

○ القصة . . الأقصوصة . . الرواية . . المسرحية . . الملحمة . . القصيدة . . تلك كلها أدوات تعتمد مباشرة الطرح وتحقيق حركية العمل من خلال شخوص أو رموز تتناول العمل وتصعده عبر مراحل مختلفة لتصل به حد الرؤية

التي يراها الكاتب انها الأجود والأحق في تجسيد مرحلة التكامل الفكري للقضية أو المادة المعدة للطرح .

وهذه الجوانب كلها لأدوات الأدب الثوري هي في الواقع خاضعة لجملة من المقاييس الفنية والاثرائية لنصل برغبة وطموح الكاتب الى حد الرضا عند تبليغ رسالته الانسانية . . وهذه المقاييس تبدو ـ حسبما اعتقد ـ على النحو التالي :

○ وضوح الفكرة المطروحة أمام القارىء وعدم ممارسة « الأستاذية » عليه واتهامه دوما بالجهل والغباء وعدم القدرة على الاستيعاب . . لأن الوضوح يخلق الحافز لمواصلة البحث في المطروح وعدم العزوف عن استكمال القراءة . . أما التغييم وتغريب الفكرة والجنوح بها نحو التضليل الذي يقدم ـ غالبا ـ للدلالة على كفاءة الكاتب

وتعمقه واستعلائه عن « المتلقي » . الذي قد يكون ـ على قدر هائل من الوعي والادراك والثقافة من الكاتب ـ ذاته ـ وما ممارسته للقراءة إلا للإستزادة طوراً ولمعرفة هوية ـ المتناول ـ وتحديد اتجاهه وبعد نظره ـ ان كان له ثمة بعد ـ طوراً آخر .

○ المباشرة في طرح المادة . . لأن الايغال في الهامشية والتقديم . . يصل احيانا بالكاتب الى ـ تتفيه ـ مادته وبعث الملل عند ـ المتلقي ـ الذي كثيرا ما يرهق نفسه كي يحصل على خيط موضوعي يعرف من خلاله ماذا يرمي الكاتب من مادته . . . وان كان ثمة من يفضل شيئا من « اللامباشرة »ـ رغم ـ رفضي لها . فإن أولئك ـ البعض ـ تبدو أن سمة « الأستاذية » هي المميزة لأدوات الطرح عندهم .

○ التكثيف للمادة المطروحة وعدم ادخال

عامل الفضفضة والاسترخاء اللفظي الذي يقود الى الاسهاب المبعد للفكرة عن مسارها ، والقارىء عن ادراك ماهيتها .. وهذا النمط كثيراً ما يلجأ إليه كتاب الرواية والمسرحية لتحقيق الحجم في الأولى والتوقيت في الثانية .

○ واقعية الفكرة وارتباطها الجماهيري دون اللجوء الى الرمز والايغال في الخيال .. لأن اية قضية تكون في منأى عن واقع وحياة الناس هي مرفوضة المعانقة والمعايشة من كافة الجماهير وبالتالي لا تجد إلا كاتبها قارئاً لها .

○ المعالجة بما تطرحه من بدائل وحلول جادة وملتزمة للمادة المتناولة بحثاً وتقييماً هي الأمثل وهي التي يفضلها المتلقي حيث يجد لقضاياه بدائل علاجية ـ متغيرة ـ واقعية الاستفادة . كما يجد تحقيقها واقعاً معاشاً .

◎ نوعية المادة هي التي في النهاية تهم القارىء عندما يقتنـع بالمفـردة والطرح والمعـالجة . . لأن النوعية هي رغبة الهدف للمتلقي في الاطلاع . . فكلما كانت من الوسط العـام وتحظى بشمـولية قيمـة ، كلما اندفـع القارىء وراء سيـاق جملها ومعرفة مـاهيتها والـوصول الى أبعـادها والحلول المطروحة لهـا . . ويحدث النقيض إذا مـا كانت القضية ـ نوعية خاصة ـ ومن وسط محدود وبشكل ضيق ومحصور في جانب معين ، كلما كان اقبال المتلقي فاترا . . وقد يصل به الفتور الى الرفض .

❋ هذه سمات ان اكتملت ومعها البناء الفني المتفق عليه فنيا ـ في الأدب الثوري ـ حتما يؤكد دوره ويصـــل بـأهـــدافـه الـــرائـدة الى مبتغـــاه الانساني . . اما أي اجهاض لأية سمة . . يعني ان احدى الايجابيات لم تكتمل . . وبالتالي يحس المتلقي خللا نـوعياً أو كيفيـا قـد تسـرب لهـذا الأدب .

❋ قد يكون هذا الكلام نظريا أكثر منه عمليا لأن هناك من يتساءل .. من سيكتب هذا النوع وما هي ملامحه الفكرية والسلوكية .. وهل ثمة نماذج كتابية حسية جسدت ذلك ؟؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه.

بقراءة سريعة ـ لما كنا قد تناولناه ـ نجد ان التأكيد قد وقع على المفردة ذات النضوج الثوري ، المحققة لجانب التأثير بعدما أخذت بكل الحواشي الفنية في بنيتها ، كما طرحنا شمولية المواد الأدبية التي أخذت بمجمع المناحي الالتزامية سواء عبر طرائق العرض المنهجي التقدمي أو في جانب المعالجة وتغليب جمهرة الفكرة وواقعية الحدث.

ومن هذا المنطلق المبدئي لتكوين الاطار العام للعمل الأدبي وجانب من هيكليته نصل إلى ـ «المتناول» الذي يصوغ أفكاره من خلال معطيات





حياتية تلتزم بما ورد سابقا . . هذا ـ « المتناول » له صفاته وتكوينه الذهني والسلوكي ورؤاه المستقبلية تختلف عن ذاك ـ المتناول ـ لأحداث النـاس في إطار اللامسؤول .

فالكاتب الثوري قد قدم إلى حياتنا من بيئتنا والتصق بنا فقط بذهن عطائي يتجه به الى أولئك المغيرين لنواميس حياتية يراها قد جانبت الواقع واتخـذت اشكالا تحـد من انطلاقـة البشر نحـو السعادة الحقيقية . . ومن هـذا الواقـع نجد ان الكـاتب له سلوكـه الذي يستمـده من رسالتـه الانسانية الرائعة . . لأن السلوك دوما هو المؤشر والعلامة الأكثر وضوحا في مادة ـ « المتناول » ـ حيث يعكس تصرفاته وأخلاقياته وسلوكـه العام على إنتاجه الفكري الذي يؤكد القول المأثور ـ كل إنـاء بما فيـه ينضح ـ . . . فكلما كـان الكـاتب

يداخله انسان مهذب . . مصلح . . غيور على الآخرين . . مقدس للخير كلما جاء إنتاجه عفيفاً . . صادقاً . . ملتزماً . . مؤثراً . . مغيراً . . أما ذوي الأحلام المكسورة خلقا . . المتشبعة بعفونة الخمارات وسواقط المواخير ونتانة علب الليل . . هؤلاء يقدمون سموما مؤطرة بالبراءة « للمتلقي » الذي كثيراً ما يكون ضحية اعتقاده الطيب وتصوره النقي لأولئك المتنكرين تحت أثواب الطهر والعفة .

ان الأديب الذي لا أخلاق له ، قطعا لا يمكنه بحال تقديم عمل ثوري مؤثر لحقيقة تؤكد أن فاقد الشيء لا يعطيه ـ . . ومهما حاول الأديب التجرد من واقعه اللامسؤول فان التمكن اللاأخلاقي من ذاته هو المسيطر دوما على مادة انتاجه . .

وهـذا الجانب الـلا أخلاقي هـو الذي أفرغ العديد من الكتابات من صدقها وبالتالي بـاتت بعيـدة عن الجمهور الـذي مج تلك النفـايـات وعـزف عن مواصلة التعـرف عليها . . وبـاتت أسماء كثيرة ـ تدعي ـ النجومية في حقل الكتابة تثير في نفس « المتلقي » الشعور بالغثيان وبالتالي اتخذ موقف الرفض من المطروح منها .

وثمة كتابات رغم عمر متناولها المتواضع وأسماء كتـابها غـائبة عن السـطح الأدبي وليست لديهـا ـ دعايات مجانية على أعمدة المطبوعات الرخيصة . فـانها تستحوذ عـلى « المتلقي » وعلى اهتمـامـاتـه وتدعوه بصدق للاطلاع على محتوياتهـا . . وهي رغم ظهورها على فترات متقطعة إلا أنها تعتبر ومضات بارزة على طريق الأدب الانساني الجاد وهو ما سنتناول جوانب منه تباعاً . .

وإذا ما بحثنا في ماهية الكاتب التكوينية لذاته

فنجد بعد سلوك تكـوينه الفكـري . . فالانتـاج الأدبي عموماً خاضع في إفرازه إلى التكوين العام للمحصلة القرائية للكاتب . . فكلما كان الكاتب مـطلعـا عـلى كتـابـات الآخـرين . . مستـــوعبـاً مادتها . . مدركا لخفايا تنسيقهـا البنائي . . كلما كان أدبه مجملا . . ومحتويا على عناصر العرض الجيـدة والمعالجـة الموضـوعيـة . . غـير أن هـذا التكوين الثقافي يخضع لنوعية القراءة التي يتلقاها ـ المتناول ـ فكثيرا ما تؤثر تلك المعارف في فكر الكاتب خاصة إذا استقى الغث منها . . وهنا تأتي مادته انعكاسا لثقافته المرفوضة اجتماعيا . . فلا يقبل عليها إلا المنخدعون فيه أو الذين يدرسون نـوعيـة « المتنـاول » والمـادة من بـاب النقـد أو الرصد .

وما سقوط الكثـير من ـ المتناولـين ـ في أتون حضارة الغرب المتفسخة وتقليد الإباحيين ودعاة

الانهزامية والاستلاب كنماذج مقلدة غير ناضجة إلا دليل قوي على تلك التبعية التي تولدت من قراءتهم لنفايات الغرب .

وما تغريب الفكر العربي وإقحامه عبر أروقة الابتذال والمظهرية بأدوات تبدو - عربية - إلا دليل صادق على إمعة بعض من يسمون أنفسهم « بالمتحررين » من كتاب العرب . . وانقياد هؤلاء وراء مجون وعقد وانغماس الغرب في مراجل الرذيلة .

إذن . . الثقافة والتحصيل العام من المعارف الانسانية وحدها التي تحدد المسار الحقيقي لانطلاقة الكاتب نحو إشراك « المتلقي » في سماع تفكيره بصوت عال . . ولهذا فان الكاتب الثوري هو ذاك الانسان الخالي من الأمراض القادمة عبر دفات كتب الغرب الرخيصة ، والأديب الملتزم هو الرافض للأمعية ولغير الالتزام . . والمسقط لكل

دعـوة استلابيـة .. تغريبيـة . إنهزامية .. وهـو المؤكد أبداً على تحرير الانسانية من كافة القيود الرجعية والمكبلة لانطلاقة التطوير الايجـابي نحو تحقيق « الفردوس الأرضي » والنعيم الأزلي .

نخلصُ من هذين الشرطين الى شرط ثـالث وهو نتيجة حتمية إذا ما تـوفر السلوك النقي ، والمحصلة الثقافية ، تلك هي .. « التأثير » المباشر وتحقيق هـدف « التغيـير » بعــد استئصـال جملة الشوائب التي كانت عالقة بـذهن « المتلقي ».. و « التأثير » عموما يقع أيا كان الطرح وأيا كانت المعالجة في نفس المتلقي.. وهو الخطر الذي يجب أن نقف وبقوة في مواجهة تغلغله وإنهائه طـالما التأثير في الموقف السلبي وهو الذي يحدثه دعاة الثورية ومتقمصو أثواب الطهر .. أما ذاك التأثير الايجابي الملتزم الـذي يشارك بـه المخلصون من « المتنـاولين » فهـو الذي نشجعـه ونؤكـد عليـه

ونؤازره حتى يحقق وجوده .

بقي أمام « المتناول » الثوري جانب مهم وهو يقدم مادته للمتلقي حيث تبرز ـ المعايشة للقضايا الجماهيرية . . فلا يعقل ان كاتبا ذا ترف فكري ومتشبعا بقضايا هامشية للقلة والطبقة والصفوة يقدم لنا مشاركة فكرية ثورية هدفها التغيير وتحقيق المجتمع المثالي السعيد لأن ذاك الكاتب قد استلب بالكامل من مجتمعه وانسلخ عن قضايا الجماهير الكادحة التي يحس تجاهها بشيء من الغرور والأنفة .

فالكاتب الصادق ذاك الذي يعايش الناس مباشرة ، يصور واقعهم ويعالج مشاكلهم ويرسم أمامهم الغد الأفضل ـ دون كبرياء ولا صلف .

والكاتب الثوري أيضاً له قدرة غير عادية على تصور الواقع ونقله احداثا متلاحقة متشبعة صدقا

والتزاماً ، وله قدرة هائلة على إيجاد الحلول والبدائل والمتغيرات دون السقوط في الاسفاف والتكرار . .

من خلال ما تقدم ندرك أن التدليل على ذلك لا بد أن يحدث وهو ما سنتابعه في الصفحات التالية .

أدَب الـــثورة
ثــورة فيـ الأدبُ




أدب
الثورة



هناك وجهان للحضارة الانسانية . .

وجه مادي ووجه معنوي أو فكري ، وهذا الوجه الأخير هو الوجه الفكري التصوري ، وهو الذي يحتاج دون الآخر الى تحديد وتجسيد ، مدى صلته بالوجه الأول ودوره في تغييره . . وحيث ان ثقافة الانسان هي ذات وجهين أيضاً كسابقتها : وجه مادي يتضمن ما لدى الإنسان من معلومات متحققة بفعل الواقع كانجازات قائمة يلاحظها ويلمسها مباشرة . . ووجه معنوي تصوري يتضمن مشاعر الانسان وانطباعاته عن واقعه المتجسد فعلا وعن توقه الى التغيير ورغبته في التقدم وميله نحو السعادة وسعيه اليها .

فان ما قصدناه بكلمة الأدب هنا هو هذا الجزء الأخير من الثقافة وهو الوجه المعنوي التصوري المتضمن لمشاعر الانسان وانطباعاته عن واقعه الحياتي الذي يعيشه والذي يعبر به عن توقه الى السعادة ورغبته في التقدم للوصول اليها . . فهو اذن ليس سوى وجه فكري للثقافة يقابل وجهها المادي من الجهة الأخرى .

ولكنه ليس التسجيل الحرفي للواقع المادي المعاش كما قد يتبادر الى ذهن أحد الناس ، لأنه يتضمن بالاضافة الى التسجيل بناء قيم جديدة يستمدها من المشاعر والمخططات المصاحبة لتوق الانسان الى السعادة ، وسعيه الحثيث للوصول اليها . . وهو بالتالي يصنع مفاهيم جديدة عن تلك القيم الجديدة التي خلقها ، يتولد عنها بالفعل علاقات جديدة يمارسها الناس في حياتهم ، متخلين عن ممارسات كانوا قبل ذلك يمارسونها ، ولكنهم تخلوا عنها أمام قوة عقلية

يجسدها الأدب ، تسيطر على ذهنية الناس ، وتحرضهم على اعتناق الجديد من القيم وتصديق الجديد من المفاهيم واتباع الجديد من العلاقات ، فيتخلون طائعين عن قيم ومفاهيم وعلاقات لا تحقق رغباتهم ، ولا تشبع طموحاتهم ، ولا تتفق مع تكوينهم وقدراتهم . .

ويندفعون بتحريض مباشر من هذه القوة العقلية المسيطرة التي هي الأدب . . لتحقيق ابداعات وتسجيل انتصارات مهمة لأنفسهم ولعالمهم ، وقد سجل التاريخ هذا بل ربما يكون التاريخ ذاته هو نتاج عمليات متكررة لصراع نماذج من الأدب يحل فيها الأدب الناضج والمتكامل القوي محل سابقه . . . وهكذا . .

والأمر الذي لا بد من الاشارة اليه هو أن جميع نماذج الأدب وأنواع الثقافات تصنع نموذجها الانساني

على غرارها ، مختلفا عما يصنعه أي نموذج آخر من الأدب أو الثقافة . . ويندر أن نجد نموذجا من الحضارة غير مطبوع بطابعها الأدبي ، ويندر أن نجد انسانا في التاريخ صنع حياة خلاف قناعاته ، وضد رؤياه للكون والتاريخ والانسان .

بل ان العكس هو الصحيح دائما ، بمعنى ان النتاج المادي لأية حضارة يأتي مطابقا لقيمها ومفاهيمها ، ولصيقا بعلاقاتها السائدة فيها فحضارة الفراعنة نتاج أدبهم الغيبي المؤمن بالبعث الأخروي ، وليست الأهرام سوى قبور صارخة للعظمة ليلاقوا بها الآخرة ، ويبقوا فيها يوم الحساب ، أما الحضارة الاسلامية فهي نتاج ايمان المسلمين بما احتواه الاسلام من محرمات وغيرها ، كأن تفرغ الملكات الفنية في الزخرفة ، وتفرغ الاستعدادات المعمارية في بناء المساجد . .

وحضارة الأوروبيين المادية انتجت الحروب

وكدست الثروات ، وهي تدور حول هذه الدوامة . . تحارب لتحصل على المال فتستعمله للحرب ثانية ، كأبرز مظاهر هذه الحضارة على الاطلاق . .

وإذا أمعنا النظر في انسان هذه الحضارات الثلاث تبين لنا الفارق النوعي قيما ومفاهيم وعلاقات . .

ويتضح الحد الذي يكون به الأدب ـ وهو ما شرحنا ماهيته سابقا ـ أساسا مهما من أسس ايجاد الظرف الموضوعي عن طريق ايجاد الارادة الخلاقة ، والمقدرة الفائقة والرغبة الشديدة في ايجاد ذلك الظرف . .

الظرف الذي ليس سوى التاريخ بعد ذلك أو الحضارة . . والذي هو جميعا معلومات ، تتجمع نهاية المطاف في عقلية الانسان ليخلقها أدبا جديدا يدفع الى فعل جديد . .

ولكن هل كل أدب يدفع الى فعل جديد ؟ . .

اذن . . ما الفارق بين مختلف الآداب ؟ . .

ألسنا نسمع عن أدب ثوري . . وآخر رجعي ؟ .

ان تبيان هذا يدفعنا الى القول : بأن الثورة ذاتها هي الصراع لأجل بناء حضارة جديدة متناسقة تحقق على الدوام طموحات الانسان ، وتحتوي رغباته في الحرية والسعادة . .

والثورة تبدأ باكتشاف الأخـطاء التي تفرزهـا الحضارات والثقافات السابقة لها وتدمرها وتبني على انقاضها نموذجها الجديد قيما ومفاهيم وعلاقات . .

أي أن صراع الثورة واللاثورة ، هو صراع بين ثقافات ، وخيار بين نماذج مختلفة ومتناقضة من (الحيوات) أو الحضارات التي على الانسان أن يوجدها وأن يعايشها . . وهنا يأتي دور نوع من الأدب ليرجح كفة أكمل النماذج وأشملها في تحقيق الغرض الأسمى من الحياة .

يأتي دور الأدب الثوري الذي يجعل خيار الانسان أكثر واقعية وعلمية وصدقا بعقد مقارنة بين حضارات ونماذج من الثقافات وشرحها وتبيان نواقصها وتحديد المطلوب وتوضيح المستقبل بما يكفي لأن يختار الانسان منهج الثورة وحلولها ، ويتبنى أطروحاتها . .

ان الأدب الذي يقوم بنقيض هذا الدور التعليمي الترشيدي والذي يساهم بعد ذلك في التعتيم على صحة اختيار الانسان لأفضل طريق في حياته ، هذا الأدب الذي يدعو الى المحافظة على علاقات الاجحاف والظلم ومفاهيم التخلف وقيم سائدة وغير واقعية يؤدي بالتالي الى تجهيل الناس والحيلولة بينهم وبين البحث عن الجديد . . هو أدب رجعي . .

ولهذا نقول : ان مهمة الأدب الثوري هي مهمة تعليمية ترشيدية بحتة ، تقوم بداية على توضيح وكشف العلاقات الخاطئة بين الناس والحث على

تدميرها واكبار روح الثورة ضدها ، ويحرض على بناء البديل لها . .

ان الأدب الثوري هو الثورة في صورتها العقلانية . . ولن يكتب يوما ان ثورة قامت لتغيير حياة بغيرها دون أن يغزو عقول الناس قبلها وأثناءها و (بعدها) أدب ثوري يحدد ملامحها ويبشر بانبثاقها ويدفع الجماهير الى اعتناق نهجها . .

ان معاناة الجماهير ومكابدتها لظروف التخلف ستكون كأن لم تكن . . ولن تدفع أحدا للقيام بشيء . . ما لم يجسدها أدب خلاق في مستوى الجماهير ، يولد من بين صفوفها قوة تقودها نحو تدمير هذه الظروف وبناء البديل لها . . كما ان ما تقوم الثورة بارسائه من قيم جديدة ومن مفاهيم تقدمية للحياة ، ومن علاقات عادلة سليمة بين الناس . . لن يؤدي غرضه من التغيير لخلق الانسان الجديد دون أدب

ثوري يواكب صنع الثورة للحياة ، ويخلق وعي المواطن بما يجري حوله من تغيير خطير في بنية الحياة والمجتمع . .

ولن تكون غاية حركتنا واضحة ولا مؤهلة لاحتواء الجماهير ودفعها للعمل الخلاق ما لم يتبن ذلك أدب ثوري يحدد ملامح المستقبل السعيد للجماهير الثائرة التي تبدل وجه التاريخ بثورتها على التخلف وبنائها للحياة الجديدة على أسس تقدمية راسخة تتصل بالحرية والسعادة ، تفجر الطاقات ، وتطلق القدرات ، وتبرمج العمل لتصل الى الهدف الواضح المحدد . .

هذا هو الأدب من حيث دوره ، ومن حيث معناه العملي في واقع الحياة والانسان . .

وهو بهذا الدور وهذا المعنى يصبح أساسا من أهم أسس التغيير الجذري من التخلف الى التقدم . .

ومهما يكن القالب الذي ينصب فيه الأدب ، مقالة أو قصة أو قصيدة أو مسرحية أو غيرها . . فان أدب الثورة يحدث في العادة ثورة في الآداب ، تتمخض عن بروز دور الأدب في القضاء على القيم الفاسدة وترسيخ القيم السليمة العادلة ، لأنه يحدد موقفا واضحا ، ويتخذ منهجاً واقعيا عميقا للتحليل ويعطي الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية أبعادا حضارية ممزوجة بمشاعر الانسان عبر التاريخ ، نافذا من كل ذلك الى تصور محدد وواضح للبديل العملي على مستوى الفعل والقناعة الفكرية معاً . .

ولسنا نقصد بالتحديد والعملية التي يتصف بهما الأدب الثوري المباشرة والتصويرية ، لأن ذلك اسفاف يحوله من الأدب الى مستوى تقارير الرأي العام اليومية التي يكتبها موظف خلف مكتبه ، أو يجعله أشبه بكتب تعليم القراءة للأطفال . . ولكن المعنى المقصود بالتحديد والعملية هو الا يتوه الأدب

وراء الشكل ، أو بفعل اختلاط المفهوم ، أو عدم وضوح الرؤيا أمام كاتبه مما يشذ به عن الوصول الى نتيجة مفيدة ، لأنه بعد ذلك يصير هراء ، وزبداً يذهب جفاء . .

وألا يشط وينأى بعيدا عن الواقع المعاش فيصبح أحلاما أو أوهاما أو تصورات محمومة لا رابط لها بالواقع ، ولا طريق تجمعها الى الحياة وظروفها وعقلية أهلها واهتماماتهم ، فتصير عالما مجهولا يصعب الولوج اليه ويستحيل الخروج منه ، كمثل افلاطون التي في السماء ، أو كمدن الطوباويين التي لم توضع في أسوارها طوبة واحدة حتى اليوم . .

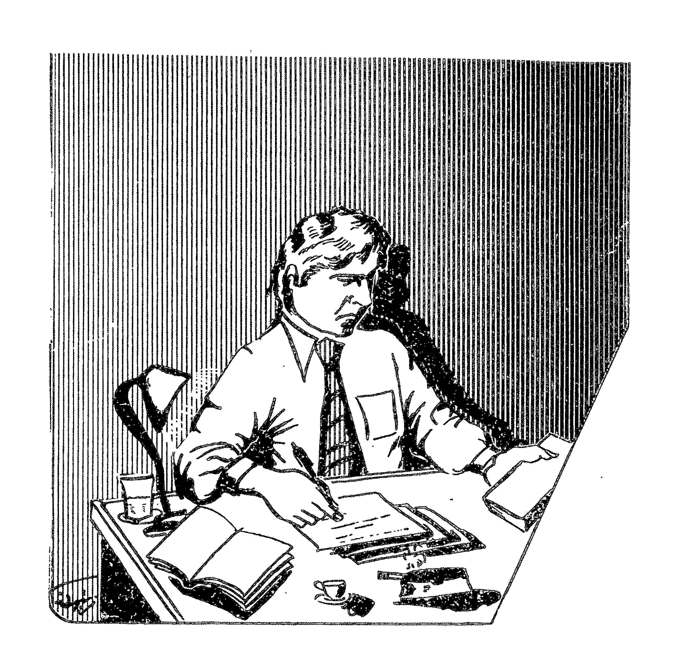
ولست بعد كل حساب أتردد في القول : بأن الثورة ذاتها ليست الا أدباً . . يحث على الثورة ويحددها وليس هذا الأدب الا الثورة ذاتها . . .

احمد ابراهيم



أدبٌ يكتبه الأحرار







إذا كان لكل ثورة أدبياتها وابداعاتها الخاصة بها والمنبثقة من قلب تجربتها ، فمن الذي يكتب أدبيات ثورة الفــاتح العظيم ؟ مـن هـو الـذي في امكانه ان يجسد هذا التحول التاريخي الهائل في حياة الأمة العربية ؟ من هو القادر على التبشـير بهذه المنطلقات الخلاقة التي تتوجه بها ثــورة الفــاتح العظيم الى العــالم كــله ؟ وهل يمكن للأديب أو الفنان وحده أن يقوم بهذا الدور ؟ واذا اتفقنا على ذلك فهل يمكن لأدباء ما قبل الثورة أن يضطلعوا بهذه المسؤولية ؟ أم ان جيلاً جديداً تفرزه الثورة يكون هو قوة الثورة ونبضها وابداعها واصالتها ووهجها الحي الخلاق ؟ لعلنا جميعا ، ظللنا نبحث عن اجابة لمثل

هذه التساؤلات ، منذ ان انطلق صوت القائد في الفاتح من سبتمبر 1969 يعلن ميلاد الفجـر ، وانقشاع سحب الظلام والقهر والطغيان وكافة أدوات التسلط والعبودية لكننا جميعا كتابا وفنانين ، ظللنا نجتهد ، نقترب ونبتعد ، فيما كانت الثورة تتجاوزنا كل يوم ، بل كل لحظة ، بانتصاراتها العـظيمة المتلاحقة ، وبمنجزاتها الرائعة ، وبتوجهاتها الخلاقة ، وباطروحاتها العظيمة الرائدة .

كانت الثورة مفهوما جديدا في الفكر والسلوك ، لم يكن من السهل على الأديب والفنان الذي ما زال يعيش ويفكر بعقلية تقليدية ، أن يستوعبه ، فالنظرية الأدبية السائدة لم يكن في مقدورها ان تتسع لتجربة ثورية تجاوزت منذ اللحظة الأولى لانطلاقها كافة المفاهيم السائدة في الفكر والسلوك ولعل هذا يبرر الى حد كبير توقف مجموعة كبيرة من الكتاب الذين كانوا يكتبون قبل الثورة فأقلامهم لم تعد قادرة على استيعاب

المرحلة الجديدة في حياة هذا الشعب ، لأن المنطلقات الفكرية للثورة الشعبية بمضمونها القومي الوحدوي وباتجاهها الجماهيري الذي يكرس قيم الحرية وينتصر لها ، ويكتسح كافة انماط واشكال العلاقات الظالمة ، هذه الثورة ، بكل هذه القيم والمضامين والتوجهات انما كانت تناضل بجماهيرها من أجل اقتلاع الجذور العفنة للمجتمع القديم ، واكتساح كافة المفاهيم الصدئة ، التي زرعتها النظم القمعية الاستبدادية التي نشأت في ظل ديكتاتورية الفرد أو تسلط الطبقة أو هيمنة الحزب وكهنوته ، وهي بالتالي قد تجاوزت كل ابداع أدبي أو فني نما في رحم هذه المفاهيم الفردية أو الحزبية أو العشائرية أو الطبقية ، وتحول الى صدى لها ومعبر عنها .

فالنظرية العالمية الثالثة ، منذ أن تكاملت اركانها بصدور الفصول الثلاثة من الكتاب الأخضر ، حددت لنا منهجا لرؤية الأمور وتفسيرها على كافة

المستويات وبالتالي فان أي ابداع أدبي أو فني يتعامل بمنهج تقليدي ، يظل متناقضا ومتخلفا عن روح عصر الجماهير ومنطلقاته الفكرية . . لماذا ؟

لأن قيم عصر الجماهير تضع الحرية في قلب تجربتها وتناضل من أجلها ، حتى يتم انتصار الحرية انتصارا نهائيا بعد ان ترفع كافة الضغوط عن الانسان ، ويتحرر من الخوف ، بعد ان يمتلك كل ما يمكن ان يهدد حريته ، ان بقيت مصادر هذا التهديد في يد اعداء الحرية ، اعداء الجماهير ، ونعني بهذه المصادر : « الثروة والسلطة والسلاح » فبامتلاك الجماهير لهذه المقومات تتأكد سلطة الشعب ، ويتم القضاء نهائياً على كل ما يمكن أن يهدد حرية الانسان .

واذا كانت قيم عصر الجماهير تستمد من الحرية نبضها الخلاق ، فان قيم المجتمع القديم هي قيم

الاستعباد والذل والخنوع والارتباط بمصلحة الفئة المحددة ولقد أوضح لنا الكتاب الأخضر، عبر استقراء واسع للتاريخ عقم هذه القيم وقصورها ، فكرا وتطبيقا ، فقد شهد التاريخ الانساني صورا متعددة من هذه العلاقات التي قامت على الهيمنة والاستبداد والقهر ، وتسلط الجزء على الكل ، علاقات العبودية ، والعلاقات الاقطاعية ، والعلاقات الرأسمالية ، والأساس في هذه العلاقات الانتاجية والأنظمة الاجتماعية هو الملكية الخاصة لأدوات الانتاج ، وهذه الأنظمة الطبقية ، على الرغم من نهوض كل منها في أول نشأته بدور تاريخي ، الا ان هذه الأنظمة لم تحقق سوى استبداد طبقة معينة وحريتها في قهر الآخرين « حرية طبقة السادة في المجتمع العبودي ، وطبقة مالكي الأرض في المجتمع الإقطاعي ، والطبقة البرجوازية في المجتمع الرأسمالي ، وهيمنة اعضاء الحزب في النظام الحزبي .

وكان لا بد أن تنعكس هذه المفاهيم القاصرة . على الأدب والفن ، فنشأت مدارس أدبية ، واتجاهات فنية تستلهم هذا التيار أو ذاك ، وتعبر عن طموحات القلة التي تسيطر وتهيمن ، فكان أدب البلاط والسادة ، وعرفنا مدارس أدبية تخلص للطبقة التي أفرزتها أو الحزب الذي تبناها ، وتسربت هذه المفاهيم الينا حتى أصبحنا نستخدمها دون أن نعي دلالتها أو مضامينها أو وعاءها التاريخي الذي نشأت فيه ، وتربت في احضانه .

فكيف يمكن أن نحدد موقفنا ازاء هذه المناهج الأدبية والفنية ؟ وكيف يمكننا أن نتجاوزها لنبدع الأدب والفن الذي هو في حقيقته افراز طبيعي لحركة الجماهير ونضالها ؟ وبمعنى أكثر دقة كيف يمكن أن نحدد بصورة واضحة مواصفات ومنطلقات وابداعيات عصر الجماهير ؟

لنتفق أولا : ان تطور الفن محكوم بتطور

المجتمع ، ويعتد التاريخ المنهجي للفن باستخلاص قانون تطوره الخاص وبكيفية عمل هذا القانون الخاص وفق قوانين أعم وأشمل هي قوانين الوجود الاجتماعي ، اي أن التاريخ المنهجي للفن والأدب يعتد بخلق جماليات تتصل بحركة الواقع الاجتماعي المتجدد ، فالفن والأدب يتطوران لأنهما يعكسان حركة واقع متغير ومتجدد نحو الأفضل والذي يحكم حركة الواقع في تغيرها ، هو ما وصل اليه البشر في صلتهم العملية بعالمهم الطبيعي وطبيعة علاقاتهم في نظامهم الاجتماعي ، فالتطور معناه « التغيير » ولكن (التقدم) معناه « التغيير الى الأفضل ، اذن وبهذا المعنى فان الأدب والفن لا بد أن يرتبطا ويعكسا خلاصة الفكر الانساني الذي يقود الى الأفضل والى الحلول النهائية والجذرية والحاسمة لكافة معضلات الانسان ومشاكله .

وبهذه المنهجية في فهم الابداع الأدبي والفني من

حيث مراحل تطورهما وأساليبهما ومناهجهما ومدارسهما وانواعهما ، ومن حيث قيمتهما وموضوعاتهما ونماذجهما الانسانية ، بهذه المنهجية نستطيع أن نتبين طريقنا ونكتشف الملامح الابداعية للفن والأدب في عصر الجماهير ذلك لأننا امام منهج واضح ومحدد ، حددته لنا النظرية العالمية الثالثة المتمثلة في الأطروحات الفكرية التي جسدتها الفصول الثلاثة من الكتاب الأخضر .

لقد حدد الفصل الأول من الكتاب الأخضر الحلول النهائية والحاسمة للمشكل السياسي « الديمقراطية » ، ولكنه قبل أن يضعنا امام الحل استعرض امامنا عجز وتناقض وقصور كافة النظريات التي تدعي انها تحقق الديمقراطية ، سواء اكانت هذه النظريات تقوم على التمثيل النيابي أو ترتكز على هيمنة فرد أو حزب أو طبقة .

فاذا استلهمنا هذا المنهج في التحليل الذي قدمه لنا

الكتاب الأخضر ، وحاولنا ان نسير على خطاه في تتبع قصور المناهج والتيارات الأدبية التي لم تكن افرازا لحركة الجماهير بقدر ما كانت تعبيرا عن فكر فرد أو ارتباط بطبقة أو حزب .

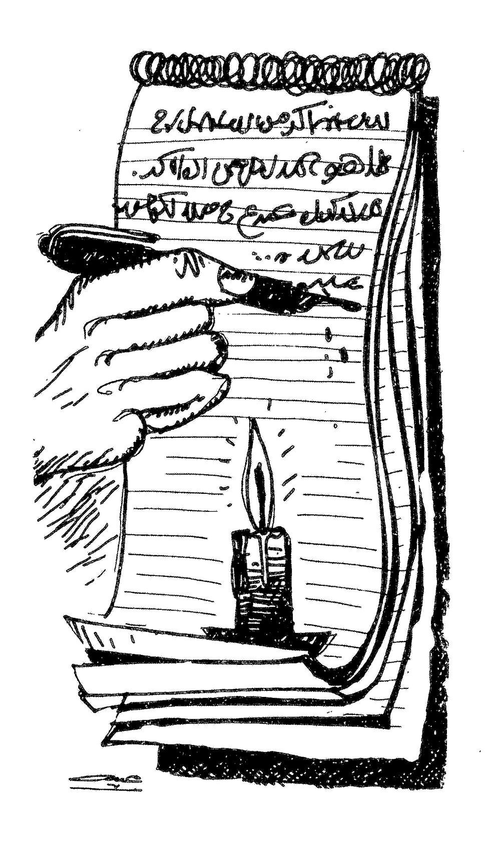
إذا احتذينا هذا المنهج فاننا لا بد أن نكتشف جوانب القصور في هذه النظريات الأدبية ، كما استطاع الكتاب الأخضر ان يكشف لنا جوانب القصور في الأبنية السياسية الطبقية والحزبية والفردية ، بعد ذلك كله يمكن لنا أن نهتدي إلى أسس النظرية الأدبية التي تنبثق من صميم تجربة الجماهير ونضالها ويتم خلال ذلك طرح كل أدب وفن يرتبط بقيم المجتمع القديم ، لأن هذا الأدب ليس الا ابداعا يكتبه انسان مستعبد ، لا يمكن ان يكتب ادبا جماهيريا ، لأنه قبل أن يفعل ذلك ، لا بد أن يصبح حرا ، فالأدب الجماهيري لا يكتبه سوى الأحرار .

فوزي البشتي



نقوش على خريطة الوطن







وطني الكبير . .

إلام تحكمك الدمى

وذوو الجهالة ، والضلالة ، والعمى

وطني . . يجـرعـك الهــوان العلقـما

والقهــر والحـرمــان فـوقــك خيـما

وتعيش رهن عسى ، وتـرجـو ربمـا

تتبـدل الـدنيـا ، وتبتسم الســما . .

وذوو العروش الظالمون ، ومن علوا

وتجـبــروا اتخــذوا الخيــانــة سـلما

وقميص عـثمــان ارتــداه مـنــافق

حتى يحكم في الــرقــاب ، ويحكــما

والانهزاميـون يحمـون الحمـى
ويعلقـون شعـارهم «لن نهزمـا»
ويخـادعـون ويـدعـون تقـدمـا
ويـؤيـدون الخـائن المستسلما . .
اثنـان يـا وطني الحبيب، احـذرهمـا
مـن لا يعـي، ومنـافقـا متلثمـا

❀ ❀ ❀

وطني الحبيب . .
سئمت قولي ، عندما
صـار النضال لبعض قـومي منجـما
وتجـارة الكلمـات تثـري المعـدمـا
والصـدق ينـزف قلبـه البـاكي دمـا
وتبـدلت أخـلاق قـومـي بـالتي
هي لا تشـرف يعـربيـا مـسلما.
محيت حـروف الضاد من كلمـاتهم
والجـو بـات بمـا اعتـراه مسممـا. .

كسدت بضاعتهم ، وراجت سوق ما
لا يستطاب ، ولا يساوي درهما
فالحر يسخر من تساؤله الصدى
يلقى بهل ، ومتى، فيسمع لا، وما
ويراجع التاريخ، يبحث فيه عن
سبب الفجيعة . . حائراً متألما
ماذا أصابك موطني؟. من ذا الذي
جلب المآسي والمصير المبهما ؟!
أتعيش يا وطني الكبير مجزءاً
نهب الأسى ؟ والقيد يدمي المعصما
وبنوك يأكل بعضهم بعضا بما
ظلموا! أعرس المجد يمسي مأتما ؟!

❀ ❀ ❀

ما كنت يا فجر السنا متشائما
كلا ، ولم أزجر غرابا حوما
والعذر ، ان أهملت حرفا معجما
وظهرت في نظر الجميع معمما

فلقد نظرت إلى خريطة موطني

فوجدتها اشلاء تصبغها الدما

ورأيت آلاف الخطوط تعرجت

فيها ، وخط الاستقامة حرما

ورأيت آلاف الأخاديد التي

ملئت ضحايا ، والظلام مجسما

ورأيت غابات النفاق تكاثفت

أشجارها ، والغدر بالظل احتمى

وتفرقت سبل الحياة بأمة

أبناؤها اتبعوا سبيلا مظلما

« اعتصموا بحبل الله » قيل لهم : فما

سمعوا الدعاء ، وأنكروا أمر السما

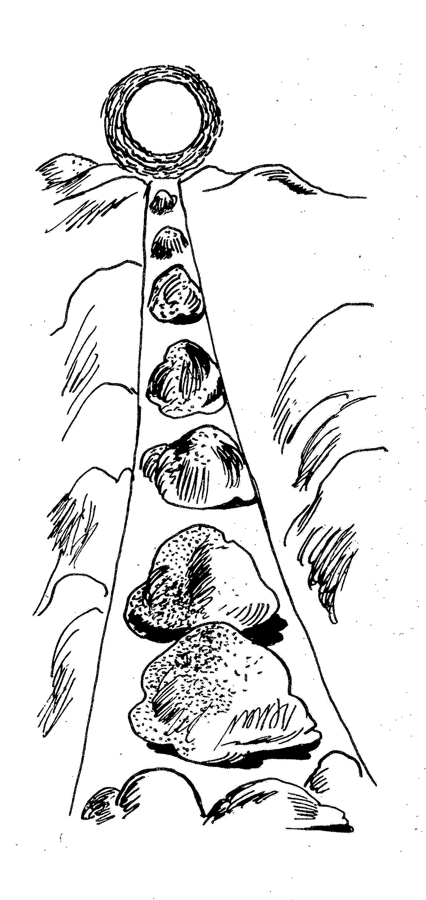
فتقطعوا إرباً ، وهانوا بعدما

كانوا أعزة . . . هدموا مجدا سما

❋ ❋ ❋

يا أمتي . . لا تيأسي أبدا، إذا

ما الليل اخفى المستبد المجرما.





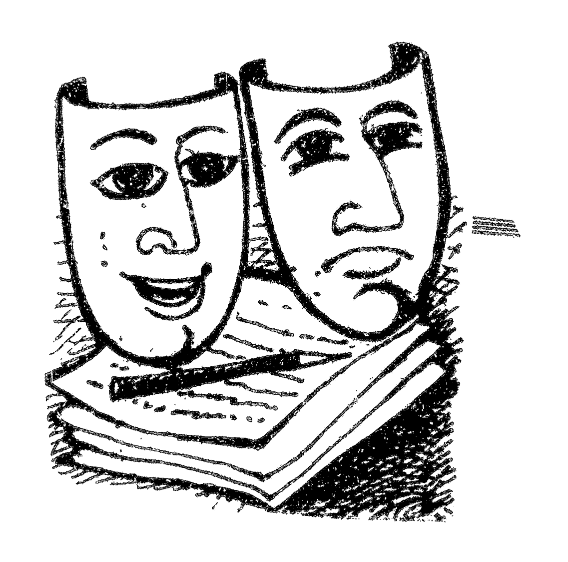
وطغى الذي اتخذ العدى أهلا لـه
وبغى الـذي في حمـأة العـار ارتمى
وسـلي الـذي آخى بني صهيـون ،
من هم قومه . . . ؟ ويقال : للعرب انتمى ! !
واستنهضي همم الرجال ، فقد مضى
عهد، وكانوا (يا لقـومي) نومـا !
فـالـزحف آت لا محـالـة، أنـذري
بقـدومـه ، من ظن ان لن يقـدمـا
والـزحف آت لا محـالـة، بشـري
بـه شعبنـا العـربي كي يتبسـما . .
هـذي جمـاهـير الفـداء، زئيـرهـا
«الله أكبـر» لن تعيش مـذممـا . .
يـا أيها الـوطن الـذي عصفت بـه
ريـح الشتـات ، فصيـرتـه مقسـما
يا أيها الـوطن الكبير. . ولن تـرى
إلا سيـوف الثأر تقـطر عنـدمـا

يا منجب العظماء، يـا وطن الهدى
أنجبـت ثـائـرك الأمــين ، معـلما
واهنـأ. . فـان الفـاتـح العـربي لن
يـرتـد. . لست تــراه إلا مقـدمـا
وانهض ففاتحك العـظيم قد انتضى
سيف الجهاد، على الجلاد وصمما. .
عهـدا، ستعلو الرايـة الخضـراء يـا
وطـني. . . لتـلتئم الجــراح وتـسلما

نوري المودي

المسرح الجماهيري







الأداة المباشرة في الآداب . . والتي تتعامل مع الحضور ، حيث تحقق وجودها المؤثر . . هي المسرح . . ان العمل الأدبي يشخص بقدرات فنية تتفاعل فنيا مع النظارة الذين يستحسنون أو يستهجنون العمل . . . ورسالة المسرح على هذا النحو ، لا تطلب دوما الاستحسان بقدر ما تؤكد على ماهية العمل . . ومدى قدرته على التأثير . . .

وهذا الأخير من أنواع المسارح . . هو الذي نحاول أن نقدمه للجماهير . . . لأنه الأقدر على اختراق ظاهرة « الفن للفن » وتحطيم قاعدة « قاعة المسرح مكان لنزع الهموم » . .

والمسرح منذ آماد موغلة في القدم . . . هو ذاك الفن الذي يسعى الى معالجة قضايا الناس . . ومحاولة تغيير مكونات اجتماعية تأتي في الجانب السلبي . .

والمسرح أيا كان أسلوبه التقديمي ومذهبه الفني . . . فهو ان لم يكن متصلا بالجمهور . . ونابعا من بين صفوفهم . . فهو مسرح يحمل تسمية بدون أي مدلول . . .

فقد ظهر المسرح « الهوميروسي » وهو الألصق بالناس لأنه يشرك النظارة في العمل المقدم « الألياذة والأوديسة » وان كان هذا العمل تظاهرة فنية متكررة ولكنها جامعة ومحققة حقبة تاريخية تعاطف معها معاصرو ذاك المسرح . . وهناك أيضا المسرح « الكابوكي » وهو من النماذج الأقرب الى الجماهير وتطلعاتهم حيث الكل ضمن حركة المسرح العامة . . . الى جانب هذين المسرحين هناك نوع

ثالث يدعى مسرح « القهوة » . . وهو المسرح الاجتماعي الذي ينقل احداث الناس مباشرة مع تطوير الحدث بما يلائم امكانية المكان مثله ـ تقريبا ـ مثل مسرح « الخندق » الذي يشارك الجنود في مواقعهم . . . غير ان هذا الأخير كثيراً ما ينزلق الى هوة الترفيه . . والترويح . . مبعدا عنصر التحمس ـ . .

وهذه النماذج المسرحية . . . لم تحقق الهدف الكامل لرسالة هذا اللون الفني . . لأن ثمة مآخذ عليها ، سواء في أسلوب طرح القضايا . . أو في معالجتها . . . حيث يغلب عليها الرصد والخيال وضعف صيغ الرسالة . . .

وهناك مسرح آخر سمي بمسرح « الجيب » . . وهو يقتصر تقديمه على مجموعة متواضعة من الجمهور . . . والعادة يتم استدعاؤهم . . !! ويتناول هذا اللون أعمالا فنية تخاطب الصفوة !! . .

ثقافة ومركزا !!.. ويتفق هذا المسرح مع نوع آخر أطلق عليه ـ المسرح التجريبي وثالث مسرح طلائعي ... وكلاهما يعتمد على أفكار خاصة بأسلوب تقديمي متطرف في الخصوصية ..

هذه النماذج تغلبت عليها الصنعة الفنية .. والترف الفكري .. ومخاطبة الآخرين بما لا يفهمون لتأكيد نرجسية أولئك الكتاب الرافضين للأقلام الشابة .. والقضايا الشعبية .. وفي المقابل هناك المسارح الاستعراضية والترويحية ومسارح المتعة .. وكلها اما مهتمة بما يدره الشباك .. أو موجهة قصد الهاء الجماهير عن قضاياها الحقيقية .. أو لتسريب بعض المفاهيم لخدمة الجهاز الحاكم ...

وإزاء كل تلك النماذج المسرحية .. نود أن نؤكد أن المسرح الجماهيري هو ذاك الجامع لكل ألوان الحياة .. فقط بأسلوب رصين .. ومعالجة موضوعية وفكر انساني خلاق ... وضمن هذه

الأطر ، التأكيد على أحقية النظارة في قضاء لحظات مريحة لأعصابهم . . ومجددة لطموحاتهم . . .

والمسرح الجماهيري على هذا النحو . . ليس هو ذاك الذي يكسر الحاجز الرابع . . أو الحائط الفاصل للمشخصين . . وظهور ممثلين من بين صفوف القاعة . . . ولا هو في اشراك النظارة في التعليق . . . أو هو في المفردات المباشرة التي يحاكيها رجل الشارع والتي كثيراً ما تكون ذات صيغ منفرة . .

ليست هذه الملامح . . ما تشكل المسرح الجماهيري . . بل هذه قشور وقع فيها المسرح الايطالي على أيام « لويجي براندياللو » - في ست شخصيات تبحث عن مؤلف -. . ووقع فيها المسرح العربي . . خاصة في كثير من عروض الملهاة التهريجية . . ولم تسلم من هذه الظاهرة غير المسؤولة

الا المســارح الافريقيــة التيْ مـا زالت ضمن اطـار مسارح اليونان القديمـة . . والكابـوكي اليابـاني . . ومسرح المناسبـة العربي . . التي تقـدم أعمالا فنيـة اجتمــاعيـة . . يغلب عليهــا طــابــع الـــرصــد والتورخة . .

وإذا ما حاولنا فعلا البحث عن الملامح الشمولية لهذا اللون . . فاننا نجد جانبا منها في المسرح اليوناني القديم الذي يرفض الشكل العام للمسرح الحديث الذي يفرض وجـود « ركح » خشبـة ونظارة جلوس واضـاءة . . . ومناظـر تخضـع هي الأخـرى الى مؤشــرات فنية . . ومـدارس لهـا منفـذوهـا . . من ايحائية الى رمزية الى تجريدية الى واقعية . . الخ .

المسرح اليوناني القديم جـدا يتعامـل مع الأرض كقاعة كبيرة للأحداث . . . وما الناس الا شخوص تتحرك باملاءات حديثة خلال فترة زمنية كانت تزيد عن اليوم والليلة . . . وهذا المسرح حقيقة ، يصلح

ليكـون مسـرح الجمـاهـير وان اختلف الحــدث أو الأحداث . . . وان تباين الزمن أو المواقيت . . وان اقتصر على المجموعة المقدمة للعمل . .

كما نجُد جزءاً من هذا اللون في مسرح « الجيب » وهو الجدية في تناول العمل الانساني فقط . . . بعيدا عن أي تأثير شخصي . . .

أما المعالجـة فتتم وفق معطيـات اجتماعيـة معينة تماما كنوعية القضايا المطروحة . . .

فــإذا مـا تم نسف القيــود الشكليـة للمســرح التقليــدي ، وتحقيق جـانب الجــديــة في العمــل المطروح ـ والجدية هنا لا تعني الأعمال المأساوية . . أو القـوالب التراجيـديـة . . . ـ ولكن تعني العمـل الحدثي ـ الدرامي ـ الذي يدرك معه المشاهد انه جزء منـه . . . يضحك معـه ويعبس لموقفـه . . ويرفض المـرفـوض . . ويقبـل الجيـد . . ايـا كـان أسلوب

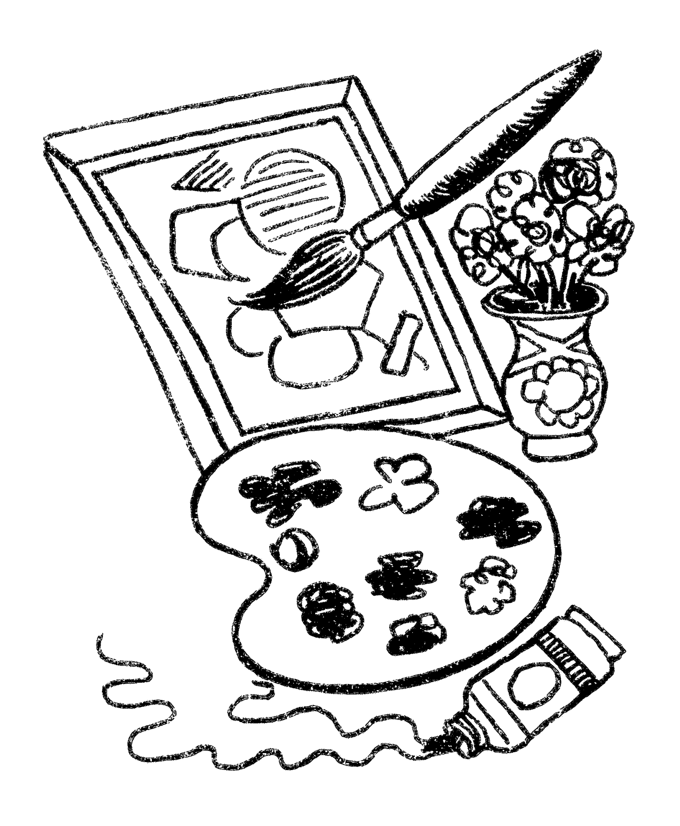
التقديم الفني . . .

كذلك اذا استطاع المتناول ان يأخذ مادته من بين الجمهور باستلهامها من قالب انساني رائد . . . واستطاع ايضا تقديمها بصدق الثوري الملتزم . . وتحقيق الجوانب العلاجية . . . فان هذا اللون هو ما نهدف الى تحقيقه وهو المسرح الجماهيري المؤثر . . البعيد عن الابتذال والذي يبتعد عن الاستعراض الماجن . . . وشباك التذاكر الرخيص . . .

ولعل قائلا يقول : « هل هذا اللون قد تعامل مع جمهورنا ؟؟ . . » وللاجابة . . نجد ان جانبا متواضعا قد توفر حديثا ، ولكنه فشل في أن يحقق معالجة . . . أو يؤكد اندماجية . . فهو ما زال ركحا . . وما زال رأياً مفردا . . وما زال اشكالا فنية . . ومؤثرات صوتية . .

مَاهية الفــن التشكيلي







الرسم أو ـ الفن التشكيلي ـ بكـل أنواعـه يحاول دوماً التأكيد على قضية معينة .. نقاشاً ومعالجة .. حيث الكلمـة فيه للخط الـذي في مجمله يحقق ذاك الايقاع الذي معه تتكون رؤية موضوعية لحـدث أو قضية يرمي إليها الرسـام .. والرسم عبـر مسيرتـه الفنية التاريخية له جذور موغلة في عمق التاريخ .. حيث تطرق هذا الفن رصداً ومحاكـاة لعدة جـوانب حياتية خـلال الحقب الزمنيـة المتواليـة .. وان كان الفن التشكيـلي الراصـد ليس إلا صوراً منقـولة من واقـع البيئـة دون أيـة اضـافـات قيمـة عـدا بعض المواقف ..

وحين تحول هذا الفن عن أسلوب الرصد الموظف

للطبيعـة والتي رأينا نتفـا منهـا عـلى صخـور الجبـال وكهوفها أو بعض الأعمال الأخرى على ورق البردي تارة أو على الجلود تارة أخرى . . بدأ يرتـاد مجالات في الغالب موظفة لتحقيق مآرب وأهداف غير شرعية باعتبار انه ـ أي الرسم ـ أحد الأدوات الفكرية التي استـطاعت أن تعمل عـلى بلورة جملة من القضـايـا الانسانية .

ان الفن التشكيـلي استهـدف التغيـير والتـطور واستحداث مذاهب ومدارس فنية متتالية تمـاما مثلما حدث مع المسرح والقصيدة والرواية والملحمة وبقية أنواع الأدب . . وللعرب في هذا المجال اسهـاماتهم رغم ما قيل فيه طورا معه واطوارا ضده . . ولسنا هنا في مـوضع تـأريخ لهـذا الفن ولكن حسبنـا معـرفـة المـذاهب التأثيـرية ومـدى انعكاس هـذا عـلى الفن العربي التشكيلي الحديث . .

بعدما تأكد دوره التغييري الذي يحققه عند الفنان

الذي يعكسه على أعماله التي يتعامل معها « الناظر »
تـدخلت القوى الاستعمـاريـة والمعـاديـة للشعـوب
ووظفت بعض اشبـاه الفنانـين ، كي يعملوا داخل
اطار هذا اللون الأدبي بإيجـاد مـذاهب الغايـة منها
استلاب أصالة المجتمعات ، وتغريب الجماهير عن
مثاليات تحافظ على كيانها الاجتماعي ، وتقيم قضايا
انسانية تهدف الى تعميق مفاهيم العـدل والمساواة ،
ومناهضة كل القوى المعادية لطموحات الانسان . .

فـظهـر ـ الـتـجـريـدي . . والـرمـزي . .
والسـريالي . . والايحـائي وغيرهـا من المذاهب التي
قيل عنها فنيـة وظهر الى جـوارها فنـانون أمثـال . .
بيكاسو ودالى وشاغال وغيرهما ممن أكدوا على المسافة
في الرسم والاختصار في الابـراز العام . . والتقليـل
من الطبيعة . . والتركيز عـلى الجماليـة . . وتغليب
اللون على القضية . . وهذه كلها في مضمونها أدوات
لاجهـاض تلك الرسـالة الفنيـة الرائـدة التي تعمل

لتحقيق انسانية الانسان وقيمته الروحية وتفاعله من أجل الوصول الى الفردوس الأرضي الخالي من كل مظاهر القهر والتسلط والهيمنة والاستغلال .

والمحزن أن تلك المذاهب وجدت بين الفنانين العرب مكاناً تفرز فيه سمومها . . فبعد أن عملت عملها في الانسان الغربي وأثرت في فكره ومسيرته الحياتية العامة تحولت عبر أيد عربية الى وطننا العربي وأخذت بحسن نية تارة وبتكليف تارات . . أخذت تسخر قدراتها الخلاقة لتأكيد الهدف المأسوي العالمي الذي نمته فيهم تلك ـ المسخرات ـ الاستعمارية الهدامة فمسخت فننا العربي وحولته الى مسوخ فنية مبتذلة حيث قدموا اعمالا لا فن فيها ولا قضية ، فهي عبارة عن مجموعة أصباغ على نحو يدعو للاستغراب وخطوط لا تحمل أي معنى إلا تهريجا ساقطا غارقا في اللاوعي .

أولئك الفنانون ، حاول البعض ، الانفلات من دائرة الايعاز المأسوي ليقينهم ان الفن هو ذاك النتاج الانســاني المبـدع الــذي جـاء خــلاصـة جملة من المعارف . . غير أن تلمس الطريق الصحيح والأمثل قد جانبوه ليقعوا في موقع أشد خطورة حيث تحـولوا الى التـأكيد عـلى ـ التراث ـ بفكـر غـربي ممـا صبـغ عملهم بصـورة طبق الأصـل للواقـع الفني الغـربي المتردي فقط تحت تسمية جديدة مستمدة من تاريـخ وحضـارة العرب . . فـرسمـوا الخط العـربي ونقلوا المعمـار الاسلامي . . كـل ذلك بـاحساس انسـان مغترب عن تراثه وواقعه الحقيقي فأظهروا رسومات بريشة عربية . . لكنها بتفكير غربي وسقطوا في أتون التغريب والتغييم الذي حاولوا أن ينفلتوا منه ويأتوا بالبديل الذي اعتقدوه صوابا .

ان الفن عموما والتشكيلي منه بصورة خاصـة له ريادة فكريـة لاتــرتقي اليهـا جميع المعـارف إلا عند

بلوغ قمة النضوج . . هذا الفن وحده الذي بامكانه اثارة القضايا الانسانية وتقديمها مادة مؤثرة إذا أحسن توظيفه وتأهيل فنانيه الـذين لهم ابداعـاتهم الخلاقـة بعيدا عن المتاجرة الرخيصة أو المحاكاة الساقـطة في أتون اللاوعي واللاانتهاء .

ان الفنـان العربي لـه في تراثـه مواد غـير محدودة بالامكان الرجوع لها وابرازها باشكال وأنماط ابداعية غـاية في الـروعـة والتـأثـير الحضـاري العـظيم . . فللعرب معمارهم ولهم خطهم ولهم نماذجهم الحياتية ولهم عاداتهم وأساليبهم المعاشة ما يكفي لجميع فناني العالم كي ينهلوا من معينه اجيالا واجيالا بالتناول . . رصدا . . ونقلا ونقدا وابداعا . .

وللعرب في الخلق الجديد الذي بشـرت به ثـورة كافة الجماهير التي بزغت شمسها على أرض الفاتح العظيم . . لها في هذا الانجاز الانساني الهائـل مواد

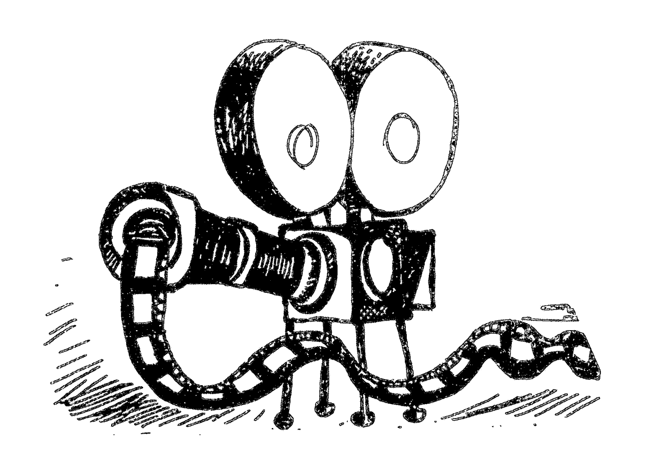
فنية جديـرة بالابـراز وتحقيق شخصية الانسـان اينما وجد بعدما عرف الـطريق نحو النعيم الأزلي بعيـدا عن كافة أنواع القيود .

ان الفن التشكيـلي عليه أن يحـطم تلك الفـرش الملونة بالأصباغ الصهيونية . . وينسف تلك المذاهب الآسنة بأسانة الفكر الماسوني . . وينهي تلك المراحل التي قادها فنانو الغـرب المنساقـون وراء طموحـاتهم الاستعمارية ووراء سراب الزخرف المادي الترفي . . وعـلى الفن التشكيلي العـودة الى المنـطلق الصحيـح وتأكيد انسـانية الانسـان ومناقشـة ومعالجـة قضايـاه وابراز طموحـاته وايقـاد جذوة الأمـل التي حطمهـا اليأس الغربي .



الخيالة
والدور المفقود







مذ عرفت الخيالة « والمشاهـد » يتعامل معها على أنها اداة ترفيه وتـرويح طـورا ووسيلة تقديم الحيـاة بعلاتها وشيئـا من العلاجيـة التي كثيرا مـا تتعارض ورغبة « المتلقي » طورا آخر .

لقـد خضع تـطور الخيالـة للتـطور التقني الـذي صاحب ويصاحب الحياة . . فقد استطاع منتجو هذا اللون الفني أن يـوظفوا الامكـانـات الفنيـة التقنيـة المتطورة لتحقيق الجانب الجمالي الذي كثيرا ما ينحو الى وضع الخدعـة والبهرج لسلب « المتلقي » اهتمامه واخضاعه لمؤثـرات لا تخدم إلا الشبـاك الاستغلالي دون الالتفـات الى القضـايـا الانسـانيـة التي كـان

المفـروض وضعها في القيمـة الكبرى لـلانتاج الفني العام . .

ومـرورا على كثـير من التأثيـرات التي أحـدثتهـا الخيالة عنـد مشاهديها ، نجد أن دورها قد استحوذ عـلى الترتيب الأول بـين كـافـة الفنـون في الجـانب - التـأثيري - حيث استـطاعت أن تغزو كـافة المـدن والقـرى وصـولا الى البيـوت التي أصبحت مكـانـا لتقديم الأشرطة المسجلة والتي كثيرا مـا تمنع في دور - العرض - العامة . . مما جعل التأثـير يأخـذ صبغة التعميم وبالتالي ردود الفعل باتت ملموسة بين كافة - المتلقين - لهذا النوع الفني .

وقـد استطاعت دور الاستغـلال العالميـة أن تجد مـوقعـا خصبـا لارتـزاق وتكـديس الأمـوال وتحقيق أرصـدة خيـاليـة عـلى حسـاب الـذوق والمعـرفـة العـامـين . . ولم تكتف تلك الـدور الاستغـلاليـة بـالكسب المادي بـل تعدتـه الى استغـلال عـواطف

المتلقي وراحت تنشر اهدافا وسلوكا يهدفان الى تشويه الواقع وتغييم الحقيقة واستلاب الطموح واحباط الأمل وزرع نفايات اجتماعية أو سياسية على قدر كبير من الفساد والسماجة وبالتالي راح الكثير من المتلقين ضحية نواياهم الغارقة في الطيبة لهذا الأخطبوط الفني الذي وظفته القوى المعادية للانسان في تحقيق مآربها وأغراضها اللاانسانية الساقطة في اتون التغريب والابعاد القيمي الاجتماعي .

وان كانت الخيالة في الغرب قد استحوذت عليها الدور الاستغلالية ووظفتها في تمجيد النظم الرأسمالية وتزكية الروح الانتهازيةوالميز العنصري وتقوية روح العداء نحو العالم الثالث . . فان الخيالة العربية بدأت تحاكي تلك الأعمال وتقدمها للانسان العربي على أن ذلك من واقعه ومن أصول حياته وان ما يحدث في الغرب هو قمة التمدن والتحضر ، وان تلك المواقف هي المواقف السليمة

التي يتوجب الحذو حذوها واتخاذها مسلكا نحو الغد ، والخيالة العربية وجدت في مادة الغرب الرخيصة اسلوبا تقدمه للانسان العربي دون مراعاة لواقعه الذي ينفر من تلك السموم وتلك النفايات الاجتماعية الغارقة في وحل الاستهتار والمجون هكذا تحولت ـ الخيالة ـ العربية الى ببغاء محاك لواقع قد تردى في الغرب ولم يعد يقوى على مجابهة الواقع الملتزم الا بتلك الأساليب المغيبة للمشاعر الانسانية القيمة ولحق الانسان في انهاء ونسف كل القواعد الظالمة التي تشده الى الحضيض . فالخيالة العربية **تتعامل مع الوطن العربي على أنه صورة لذاك التفاعل الغربي الذي أفرز تلك النوعية « الخيالية » التي استفادت من الصراعات المختلفة التي تستجد على ساحات الغرب مؤكدة على سلبيتها . ترويضا للمواطن الغربي ومحاولة لتمييع قضاياه التي يطالب بها ويسعى جاهداً لتحقيقها** هكذا تتعامل الخيالة

العربية وصـورها في منـظور مقلوب وساذج . . لأن المهيمنين على هذا القطاع هم في الـواقع عبـاد مادة ومستغلو أوضـاع . . ومن هذا المنـطلق استـطاعت بعض دور الغرب المسيرة ماسونيا . . استطاعت أن تستفيد من هؤلاء الدهمـاء فوظفتهم لنشـر أهدافهـا التوسعية وذلك بالسقوط في الابتذال وتقـديم الغث وتشويش ذاكرة الانسـان العربي بقضـايا تـارة وهمية وتارة مستوردة عبر علب الأشرطـة الجنسية وتـارات بتقديم هوامش فكرية مشوشة عـلى أساس أنها دور الفكر التقدمي الطليعي ويسقط المواطن داخل تلك الـدائـرة السـوداء فتنعتم رؤاه ويبقى كثـور معصب العينين يدور حول نفسه في الوقت الذي تتسرب فيه أفكار في المقابل تخدم القوى الامبريـالية والمـاسونيـة العالمية.هذا هو واقع الخيالة العربية الداعية للاسفاف والتصدع الاجتماعي والخيبـة ونسف الطمـوحات وحتى وان كانت هناك بعض الومضات قد انبعثت في

تلك العتمة الفنية . . فانها تبقي محاولات ، وكثيرا ما تصطدم بالرقابة الحكومية التي تجهضها وتحولها الى دوائر العنكبوت لتبقى في ذاكرة التاريخ الفني وصمة ذل لتلك الحكومات وعلاقات مثيرة في سجل منتجيها . . لأن تلك الحكومات مثلما استلم المنتج توجيها من مموله الغربي بألا يثير ما قد يهيج النظارة ويحرك القضايا نحو مسارها الطبيعي الصحيح ، فان الحاكم العربي هو الآخر قد تسلم توجيها من منصبيه الغربيين كي يجهض أية محاولة قد تؤلب عليهم الجماهير أو تحركهم نحو انهاء واسقاط تلك الواجهات الحاكمة المستبدة .

ان الذي يحدث على الأرض العربية من معطيات مختلفة ومتباينة تستوجب وجود حلول معالجة موضوعية عاجلة لأن ثمة مهاو ومخاطر قد يتردى فيها الانسان العربي حين لا يجد من يعاضده أو يمسك بيده ليخرجه فالصراع على السلطة والتحكم والهيمنة

قد استشرى داؤها والاستغلال والانتهاز قد استفحل مرضه . . والانبهار والتبعية واقتفاء أثر الغرب الماجن قد توطدت اركانه في بعض الأقطار . . وهذا يؤكد أن دور الخيالة يعد هاما . . لأنها الأداة التي أصبحت في متناول الجميع ولها دور الريادة ان أحسن استعمالها وتوظيفها ـ في تغيير المسار المعاش المتخاذل الى المسار الطبيعي . . ان الانتفاضات الشعبية التي تحدث على كثير من الساحات العربية جديرة بأن تسجل لاثراء مسيرتها وتعميق مفهومها الجماهيري الى جانب المقولات الانسانية الرائدة كان واجبا قوميا ان تسجلها الخيالة والتأكيد على ضرورتها والتبشير بها حتى يبنى الانسان ويتم له السيطرة بالكامل على مقدراته وبالتالي تسخير قدراته لخدمة قضاياه وقضايا الانسان في كل بقاع العالم .

إن الخيالة . . مسارها الطبيعي ترشيد الجماهير الى الطريق الصحيح لتحقيق انسانية الانسان وامتلاك

مقدراته والاجهاز على كل المعوقات المعرقلة لمسيرته التقدمية . . ويتم ذلك للخيالة حين تسقط بالكامل الرغبات المادية الرخيصة للاستغلالي الذي يدير دفة الانتاج وتسمو روح الكاتب عن التعالي لواقع الانسان المتواضع وينزل عن كبريائه المصبوغ بنفايات الغرب وعنجهية المرتزقة ويعود الى طبيعته الانسانية النقية من شوائب البهرج والتطلع الأرعن . . ويتم ذلك حين يخرج الكاتب من بين صفوف الجماهير . . معايشا واقعهم . . ويجسد قضاياهم موضحا مسيرتهم . . وحاثا لهم على تحقيق الغد الأخضر ويتم ذلك حين تسقط الحكومات ورقابتها وحين تنتهي الاملاءات وموجبوها .

الفـــن
بين الأثر والتأثير والتأثر







الفن . . هو ذاك الفعل الابداعي العفوي الذي ينسجم وطبيعة الحياة . . وهو بالتالي المعبر عن الأحاسيس المفجرة عن حدث أو حادث تارة حضوريا وتـارات بالتعـاقب . . بمعنى ان التفسير الحسي ـ الحضوري ـ هو الذي يتم عند وقوع حدث يتفاعل معه المرء وينتج عن ذلك ايقاع فني سواء بحركات جسدية أو بالقاء مفردات بأسلوب يختلف والحديث المعتاد . . أما التعاقب فهو تلك الجوانب الارثية التي تتوالى مع قدوم مناسبة خلال أيام السنة كأفراح المولد أو استقبال الربيع ومهرجانات الفروسية أو غيرها من المنـاسبات التي تقـدم خلالهـا بعض الوان الفن العام . . .

وهنا يبدأ الشق الأول للفن في التبلور نسبيا ذاك هو الفن ـ الأثر . . ان الأفعال التي تسجل على صفحة التاريخ ويلقنها الأجداد للآباء ، والآباء للأبناء . . هذه وما ينتج عنها من أفعال حسية فنية ، هي رصيد فني يقع في دائرة الأثر . . والملاحظ على فن ـ الأثر ـ هو انه فن عفوي قد تولد من تناغم الانسان والطبيعة أو جاء نتيجة صراع البشر مع الحياة . . ونلحظ هذا بوضوح في مواسم الحصاد والزرع . . أو عند كسوف الشمس وخسوف القمر . . أو عندما تشح الأمطار. . كذلك له حضور في العادات الاجتماعية التي تبقى في دائرة الأثر دون تطوير الجانب التقديمي لذاك الفن . .

وإذا كان ثمة مآخذ على فن الأثر فهو في الجوانب الرجعية التي تشد الانسان ولا تمنحه فرصة التأمل أو الرؤية الآملة للحياة . . أو اختراق بعض القوانين التي لم تعد تتلاءم والحياة المعاصرة بما فيها من أساليب حياتية مغايرة تماما لما ساد عبر آماد موغلة في القدم .

وإذا ما حاولنا البحث في مناقب ذاك الفن فلا نعثر الا على ـ العفوية ـ وتلك الرؤى الساذجة التي كان عليها الانسان قبل أن تسحقه المادة وتغير الكثير من سلوكياته العامة وتصرفاته التي كثيرا ما تعتمد على قانون الأخذ والرد ، وقانون الحاجة ، وقانون المصالح . .

وهذا اللون من الفن ما يقع منه بين المآخذ والمناقب وجوده وعدمه سيان لأن فرصة التأثير باهتة جداً . .

❋ ❋ ❋

أما الفن الذي جاء نتيجة الفن ـ الأثر . . فهو ذاك النتاج المتأثر بالتفاعلات الحضارية المتعاقبة . . فإذا تأكد لنا أن الفن هو قمة المعارف الانسانية . . بمعنى أن المحصلات الحياتية عموما بكل ما فيها من معارف عامة . . تقنية وآداب وجوانب جمالية . . هذه عند مرحلة النضوج الكامل تصل الى مراحل الابداع أو

ملامح الفن الذي يقدم شتى ممارسات الحياة . . وقد استفيد من هذا الفهم ووظف في تعديل المسار الفني ـ الارثي ليخدم مناحي حياتية وقضايا يغلب عليها طابع السلبية والتأثير النفسي الذي يسخر في تحقيق هدف المستفيدين منه . . وهنا تحول الفن الارثي ـ الأثر ـ العفوي ـ الى فن متأثر خادع ، حتى للذين يمارسونه ـ كما كان الحال مع التظاهرة ـ العيساوية ـ التي شجعت من طرف « أوقاف العهد المباد » والتي كانت تدوم زهاء الشهر . . وقد وظفت بالكامل للالهاء ، وتغييم بعض الأحداث ، وتغييب الجماهير ـ ولو لفترة ـ عن احداث قد يكون لها مردود قوي يفسد نوايا النظام .

ولقد وجد الفن المتأثر من يعاضده ويأخذ به طورا لأن « المتلقي » قد خدع فيه واطوارا لأن المقدمين له . . ضمن دورهم ، تعميق ذاك الفن في نفسية

« المتلقين » لتحقيق جانب الاستلاب وتمرير بعض الأهداف .

واذا ما وجد هذا الفن ـ المتأثر ـ والذي كان اثرا . . وجد من يتعامل معه ، فانه يتحول الى الفعل التأثيري وهو اخطر مراحله على الاطلاق ، وتشتد خطورته بمرور سنوات تفاعله داخل المجتمع حتى يصبح جزءاً من التراث الفني . .

❊ ❊ ❊

وهنا تتوجب علينا وقفة تأمل ودراسة للفن الذي ما زال بيننا ، والفن الذي نحن نريد ، وكيف الانتقال بتلك الفنون التراسبية من واقعها التعاملي التأثيري السلبي الى الممارسة الايجابية ؟

❊ ❊ ❊

إن مجموعة الفنون الشعبية من غناء وأهازيج ومن

رقص وايقاع . . ومن ـ الذكر والحضاري ـ وهي أفعال فنية بإطار ديني ، ومن زجل وخيال ظل ورسم ومسرح . . ومن عادات وتقـاليد . . أفـراح . . اتراح . . ختان . . جمع الحبوب والأعمال الجماعية من حفر الآبار وبناء المساكن والحصاد والدراسى وغيرها من الأعمال التي تتبعها بعض الملامح الفنية سواء بالاداء الحركي أو اللفظي . . هذه جميعها فنونا كانت ـ الى زمن قريب ـ أثرا لفنون شبه مماثلة . . نبعت من بين صفوف الجماهير وتؤدى من الكل بعفوية متناهية . . وأقصى غاية لها كانت التعبير عن الحدث في اطار فرحي أو ترحي أو حشد همة . . ولكن بتعاقب الاستعمار على الأرض . . ولكل استعمار افكاره الانهزامية وادواته القهرية وغاياته الغارقة في الاستحواذ والتضليل . . وجد في الفن العفوي جملة من المنافذ التي تحقق مهامه . . فبعد دراسة كل لون أقلم الاستعمار المادة المطروحة وأهدافه في اطار فني

يبدو ـ للمواطن المتواضع في معارفه ـ انه ذاك الفن الذي تعود عليه دون أن يحس بنوع من التغيير أو التحريف لأنه نفذ بعناية . . وللتدليل على ذلك نذكر الاثارة في الرقص التي لم تكن وانما أضيفت حيث تعدى الرقص جانب التعبير عن الحدث الى ارضاء المتعة والاقلال من ـ قيمة ـ المرأة ـ كذلك في التظاهرة الفنية ضمن اطار ديني . . حيث ادخل عنصر الخرافة والتشنج سواء في « المفردة » أو في الاداء مما شوه الحدث وقلل من قيمة المادة المطروحة عند الاداء الحدثي . . وركز على جانب ـ الدروشة وعلى ـ الشايلله وعلى ـ تستور يا سويدي ـ وهذا قد يسحب أيضا على الغناء ، حيث اعتمد على الغزل الرخيص وتقديم المرأة على أنها ـ لوحة للمتعة . . أو قدم الصحراء للسمر والمدن ـ لعراجين الفل . . والكروسة ـ والذي يحاول أن يدرس بتوسع جملة الفنون ، يعرف الى أي مدى أصيب هذا الجانب

الحياتي من مسخ عن قصد ـ ليكون بذلك متأثراً ـ بما يسمى بالتمدن والتحضر الغربيين . .

وفن كهذا ـ الفن المتأثر ـ لا يستطيع أن يؤثر ـ إيجابياً ـ لأن فاقد الشيء لا يعطيه ـ فإذا كان اصلا هو فنا متأثرا فكيف يمكنه أن يؤثر إيجابياً لاعتماده على سلبيات مزروعة بعناية في جسمه العام . . ولذلك فالفن الجماهيري عليه الا يعتمد على تلك الصيغ الفنية المتأثرة وانما يعود الى الأصل في الفن ـ فن الأثر ـ فن الأجداد لا فن المستعمرين يهذب من جوانب تقديمه ويزيل عنه كل الشوائب المصطنعة ويقدم فنا يحمل رسالة انسانية لا ترفض الترويح والترفيه ولكنهما يضيفان الى الحياة بعدا انسانيا تقدميا حضاريا . . يعمل على سعادة الانسان التي هي في فردوسه الأرض الأبدي . .

نحــو أدبٍ وفن جديدٍ للطفـل







بتصفح جل ان لم نقل ـ كل ـ ما يقدم للأطفال من أدب وفن نلحظ أن الطفل يعامل على نحو يدعو للدهشة . . فهو في نظر هؤلاء المقدمين ـ كائن لا يتلقى الا ما يلهيه أو يبعث في نفسه المرح . . ومن هذا التصور [الأرعن] نجد أن مواد الأطفال الأدبية والفنية هي قطع مسرحية غير هادفة تتجنب تلك المدارك الهائلة التي تعتمل في العمق عند النشء الجديد .

ولم يكتف أولئك المقدمون بادخال عنصر الترفيه كهدف نهائي من رسائلهم الفكرية وانما يتعاملون مع الطفل من خلال ذاك العنصر بمواد تغرس سلوكيات

كثيرا ما يرفضها حتى المقدم لأطفاله ان كان له أطفال .

فنجد في مجال القصة ـ وهي الأكثر شيوعا وذيوعا بين المواد المنشورة والمقروءة والمنظورة . . . نجد الخداع والمكر للثعلب . . والجبن والخوف ملصقين بالفأر . . والقوة والعنف ملازمين لملك !!! الوحوش ـ الأسد . . والذل والضعف والهوان وتلك من صفات الأرنب . . الخ اما العداء المستفحل فهو دوما من نصيب الكلب والقط أو القط والفأر . . وكأني بالطفل لا يعرف من هذه الحياة الا تلك المشاعر السلوكية عند مخلوقات الله . . واذا طورت تلك المشاعر على يد ـ أقطاب !! الفن السابع ـ الخيالة [المرئيات] فان الرجل الغربي يحتل القاسم الكبير في معادلة ـ الهاء الطفل ـ حيث ابتدعت شخصية خرافية تستطيع ما لا يستطيعه أي مخلوق . . وتفكر بما لا يفكر فيه أي كائن . . ناهيك عن اخلاق هذا

ـ الهائل !! وغرائزه . . لدرجة أن الطفل يريد أن يرى والده ـ سوبرمان . . وغرانديزر ـ ودايسكي . . ويريد أن يحقق كل تلك الغرائب من خلال وجوده الصغير داخل بيته وان تعداه الى مدرسته .

فالطفل على هذا النحو لم يعرف الا الجانب المظلم من حياة مجتمع انسانيته وهي تلك النتوءات السلوكية الموغلة في نقائص المشاعر وسوء التعامل . . واللامعقول في التصور الهلامي .

واذا كان الطفل عموما قد استهدف . . فالطفل العربي هو أكثر الأطفال استهدافا . . حيث نجده وقد تألبت عليه كل دور نشر المواد بمختلف وسائلها ومفاهيمها . . فقد يشاهد في المرئية ما ذكر بالكامل أن لم يزد . . ويقرأ في مطبوعات دور النشر ما عجزت عنه المرئية . . وكأني بهذه المواد لتحاملها على الطفل ومحاولة سلبه الطموح الجاد الواقعي . . والتصور الحياتي الملتزم . . والسير على هدى الافراز الانساني

الرائع الصادق . . كأني بها تعني ما ترمي اليه . . وهي خطة محاذية للتخطيط العام الموجه للانسان العربي من قبل اعداء الحياة الحقيقيين . . والا فأين ما ينشر ويطبع ويرسل عبر الهوائيات الى أطفال بعض الدول ؟ هناك تكوين علمي وسلوكي للطفل منذ معرفته الأولى بالقواعد البسيطة للحياة . . هناك تبسط له العلوم وتقدم له الأفكار الجيدة بأسلوب متواضع . . هناك هدف تطوير مدارك الأطفال شغل الاجتماعيين والمفسرين . . وهناك الابتذال غير موجود وان وجد فهدفه مجرد الترويح وهي مدة قصيرة بقياسها بالمواد الفكرية التي تقدم له قرين تلك المواد . .

تجد في المكتبات مواد فكرية عن كل ـ مخلوقات الله بأساليب متدرجة للمستوى التحصيلي للطفل . . الى جانب جل ما كتب للكبار بما يتلاءم والتقبل عند الطفل ـ فنجد مثلاً . . أعمال شكسبير هي في متناول

الطفل بأسلوب رشيق وشائق وكلما تطورت معارف الطفل كلما تطور أسلوب التقديم لنفس العمل الذي قرأه منذ مدة . . ولتقريب الصورة هذه أكثر نقول ان عملا « كتاجر البندقية » مثلا ـ الـذي يدين فيـه شكسبير ـ البرجوازية والاقطاع والصهيونية والطبقة والميز العنصري وهو أمر غـريب من دور النشر الغربية . . .

هذا العمل يقرأ بستة أساليب عند تقديمه . . تختلف فقط في تركيب الجملة ـ دون الاخلال بأي تكوين فني أو فكري للنص . . واذ نسوق هذا المثل لا يعني ان ثمة دعوة لأية قراءة لتلك الآداب .

تلك المواد المطروحة امام الطفل في الغرب رغم غثاثة البعض منها الا ان هناك مواد اخرى تحقق البناء الفكري الجاد . . فقط لا بد من عملية الاختيار وكثيرا ما يكون ذلك الجانب على قدر كبير من

الوعي . . لكن الطفل العربي لا يجد الا انواعا مبتذلة . . يبدو انها موجهة له خصيصا لتغريب ثقافته وتتفيه معارفه وتثبيط عزائمه واسقاطه في اتون اللاادراك واللاالتزام الفكري رغم ما لنا من تراث هائل في كثير من مناحي المعرفة التي لا ينقصها الا التوظيف والبرمجة وتقديمها مادة فكرية جيدة يتمكن من خلالها الطفل من استيعاب ثقافات في أكثر من مشرب . . والمؤسف ان تلك المواد المطروحة قد اعتمدت ووجدت من يشجعها حتى عبر قنوات التحصيل العام حيث ما زال الطفل ساذجا في نظر واضعي المناهج . . وما زالت أدوات التقديم متحفية . .

ولا يعاب على واضعي المناهج أو ناشري أدب وفن الطفل ولا منتجي مواده الثقافية . . لأن هؤلاء في الوطن العربي ما زالوا يتعاملون بعقليات ما قبل الحرب العالمية الأولى في التقنية وقبل فكر الانسان

التقدمي في حقل الكائنات الحية .

ولا يعاب على أولياء أمور الأطفال الذين يتأبطون رزم المطبوعات وأشرطة ـ الفيديو ـ أو يتركون أطفالهم أمام دور عرض الخيالة . . لأن الوعي المساير لروح العصر وديماغوجية الطفل تبدو باهتة لديهم ولذلك فهم ينطلقون من مفهوم متأخر عن حقيقة دور وقدرات أطفال هذا العصر . .

ونخلص الى ان الطفل العربي قد وقع فريسة تخلف المشرفين على تربية ـ مدرسة . . بيت . . شارع وفريسة احقاد الغرب على العرب . . فهم ـ أي الغربيون يحاولون التأثير على الأطفال لكسب المستقبل وذلك لأن مثل ذاك البناء حتما سيجعل روح الانتماء ضعيفة ليسهل الاصطياد أولا يوجد نهائياً فيسهل الانقياد أو التأثير يكون قد أوجد قاعدة للتعامل مرضية النتائج . .

والذي تجب الاشارة اليه هو ان أدب وفن الطفل يجب ان يؤخذ من أين وصلنا الى من حيث بدأنا بمعنى اننا قد حققنا واقعا مغايرا بالكامل لما كان عليه امسنا وهذا يدفعنا الى اعادة النظر في كل انتاج الطفل أدبا كان أم فنا . .

فقد انتهت المعطيات القديمة بكل مآخذها وسلبياتها والتشويهات المتعمدة والتشويش الفكري المظلم . . تلك الأوضاع التي امسكت مسيرتنا قرونا لم تعد تصلح لتكون قاعدة انطلاق نحو الغد . . ولم تعد اداة قيمة لبناء طفل اليوم .

ان طفل اليوم وهو يعيش ـ عصر الجماهير . . وهو يعانق حقائق الواقع التقدمي . . وهو امام الصور المشرقة لطموحات الانسانية لا بد له من أسلوب وفكر جديد. ان طفل اليوم لم يعد يتعامل مع الحيوانات والطيور من جانب سلوكياته وبتركيز شديد . . ولم

يعد يؤكد على ـ سوبرمانية والده ولا هـلاميات غرانديزر . . ولم يعد ينظر الى الغول الذي تتحدث عنه جدته ـ ولا ـ « النفيص » الذي يرفض التعامل مع العمالقة لم يعد ينظر الى الأشباح ولا يخافها .

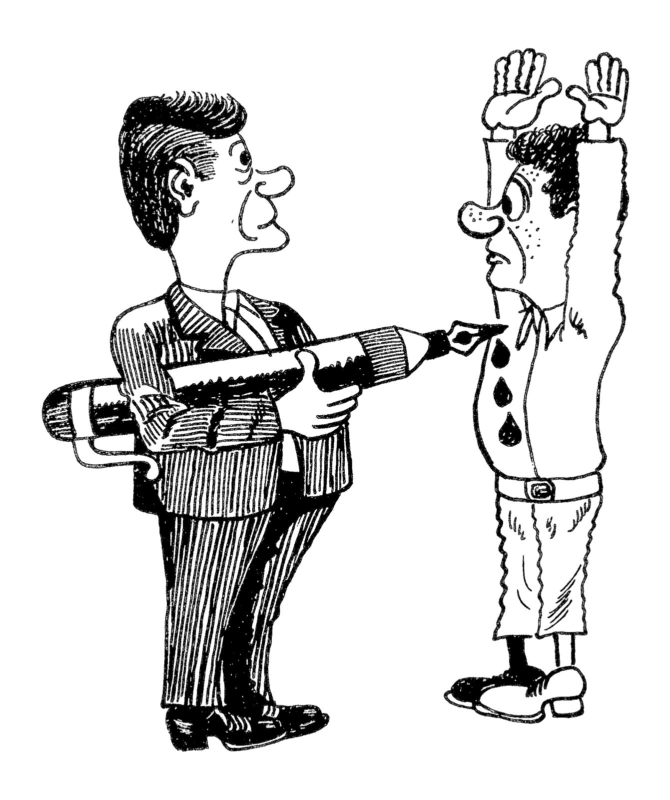
ان طفل اليوم ما عادت مادته الفكرية يستقيها من همسات الجدات ولا أفكار تجار الأشرطة ولا مروجي المطبوعات المدسوسة . .

ان طفل اليوم له رأيه وله ابداعاته . . وله سلوكياته ودورنا فقط هو التقويم وطرح الجيد ونقل الطفل الى الغد بالتزامه وطموحه واشراقته وصدقه . .



رؤى في النقد الناسف
والنقد المنصف







ان الصيغ العامة التي تناولت ـ النقد ـ هي ذاتها التي لم تتغير وان تقلبت في شكلها اللفظي وتعاملها المباشر مع المادة المطروحة للنقد .

وأوجه التقلب جاءت في تعدد المذاهب التي أفرزت جملة من المقاييس المحددة لماهية تناولاتها النقدية . . فهذه الواقعية التي تؤكد على الحدث وتعاظمه ثم معالجته القريبة من الواقع .

وتلك الكلاسيكية التي تتفق مع الواقعية فقط ، بشكل تقليدي يعتمد الجملة ذات الجذور الموغلة في النمطية التابعة لموقع الحدث والتصور الحدثي المعتمد على أرضية اجتماعية تقليدية مع عدم الاعتراف

بالتطور الفكري التقني السريع وانعكاس ذلك على السلوك الاجتماعي . .

ايضا هناك المذهب الطبيعي الذي يتعامل مع البشر من خلال تصرفاتهم واستحداثاتهم العفوية وتركيبة البنية الحديثة بتطور أفقي غير قابل للعمل المباغت والاستعمالات التقدمية خاصة في الجانب العلاجي .

إلى جانب هذه المذاهب ثمة مذاهب اخرى تعنى بالجانب الجمالي سواء في الصور أو في التركيبة اللفظية وهو ما يسمى بالمذهب الجمالي . . وهذه جميعها متأثرة بمواقف سياسية أو نظريات انسانية حيث يتعامل الناقد عبر مراحل زمنية خاضعة للفترة ذاتها . . بمعنى أن المذهب الجمالي المخملي هو ذلك المذهب البرجوازي الذي يؤكد على جمالية الحدث وشخوصه والتركيبة الحوارية ذات الصيغ المنتقاة من الواقع الاجتماعي

المترف . . ويقابل هذا المذهب ـ المذهب الاشتراكي الذي يعتمد على النماذج الكادحة وقضاياها المعيشية وأسلوب ايجاد حلول لواقعها المتردي .

هذا المذهب يؤكد على سير الحدث أو الأحداث دون التركيز كثيرا على جمالية الجملة أو البناء التناسقي بمنحنياته الابداعية .

والناقد أمام هذه المذاهب كثيرا ما يقبل بأحدها ويخضع مادته لمقاييس ذلك الذي اختاره ، بحيث يعتقد أنه بذلك يقدم ما يفيد لايمانه بما تناول .

في حين يأتي آخر وينسف ما سبق وان تناوله الأول . وقد يأتي ثالث وينسف الاثنين معا ويأتي بوضع آخر . . لأن الناقد الذي يتعامل مع مقاييس معينة حتما لا ترضية الأخرى وانما يرى فيها اسقاطا وقصورا وضعفا . . ولذلك ، منذ أن عرف هذا اللون الأدبي ما اتفق جيل من النقاد على قضية الا

وجاء آخرون وشككوا ورفضوا السابق وأتوا ببديل يرضي تلك الحقبة ويرضي من يتعاملون معها . . فالناقد الاشتراكي مثلا لا يهتم الا بأولئك التعساء والمغبونين وذلك الحوار الساذج والتهكم على شخوص المذهب الجمالي ونمط حوارهم . . في حين يأتي الناقد الجمالي ويسفه بالكامـل الأول ويعتبره سـوداوياً ومتخلفاً حضاريا . . الى آخره من الصفات التي تجانب واقع النقد . . والمؤسف عبر كل نماذج النقد نجد أن أولئك يصفون الوان نقدهم بالموضوعية والذاتية والبعد عن الاسفاف والشطط في حين أن جل تلك الأعمال غارق في أتون « الشخصية » والتجني والتحامل . .

والنقد أيا كان مذهبه لا يمكن أن يوصف بالجيد أو بالسيء لأن تلك الأحكام نسبية . ومرفوض الحكم بها . . حيث نجد بعض النقاد ينعتون تارة المادة المنقودة بالجودة الكاملة أو بالضعف العام وتارة أخرى

يصفون ويتجنون على كتابها ويؤكدون عدم أحقيتهم بتناول تلك الموضوعات ويبعدونهم عن ساحة التعامل بالمفردة . . وهذه جميعها بعيدة عن الموضوعية والذاتية التي يصرون على أنهم روادها .

وبذلك نجد أعمالهم النقدية تنسف لا تنصف . . وان إخضاعاتهم للمواد جاءت متحاملة ومشككة مما يعوق المسيرة ، لا يثريها ولا يهذبها ولا يحثها ولا يحرضها على المواصلة .

والنقد المنصف في نظري هو ذاك الذي يقدم التحليل الرصين لكل محتويات المادة المطروحة للنقد . . بعيدة عن المجاملة وفي منأى عن المكابرة . .

ولكي نضع مقاييس للنقد المنصف نقول :

○ التأكيد على القضايا الانسانية ذات الشخوص النموذجية من الواقع .

○ الحدث وطريقة تفجيره ونوعية تصاعده وملاءمة ذلك لعقليات الشخوص .

○ الحوار ومستوى نضجه وملاءمته لمستوى الفكر السائد بين محدثي الحدث .

○ الصور التي تواكب الحدث ووجودها داخل التصاعد وعبر الحوار ومدى قدرتها على تجسيد فكرة الكاتب .

○ الطرح العام للفكرة وتسلسل الأحداث ومراعاة ذلك مع البنية العامة للنص .

○ النماذج البشرية السائدة في النص ونوعية التفكير والتفاعل وردود الفعل الجامع بين هؤلاء جميعهم .

○ العلاج المنهجي للعمل ومدى قدرته على استيعاب الحدث وطموح الشخوص واقتراب ذلك من أرضية الواقع .

هـذه نقاط تجمـع بين نـوعين من المـذاهب النقدية . .

بين النقد « الهيكلي » الذي يعتمد على الحدث وتطوره الهرمي وعقليات شخوصه والقضية [أياً كان مصدر تفجرها] وطريقة خاتمة الحدث دون النظر الى ماهية الصور وتركيباتها أو نوعية الحوار وملاءمته للفكر المسيطر على النص . . وبين النقد الجمالي الذي يرى الصور المتناسقة والحوار ذا الايقاع الشائق وتناغم الفكرة بين الشخوص . . هذه ذات أهمية قصوى دون الاهتمام بالبنية العامة أو تسلسل الأحداث هرميا أو أفقيا أو القضية ونماذجها . .

وهذا النقد الجامع يمكن أن نطلق عليه النقد المنصف الذي يبرز المآخذ على علاتها والمناقب على أوضاعها إبرازاً دقيقاً دون الاخراق في تفصيلات قد تسقط العمل في أتون التخمين والتصور الـذاتي للناقل .

وقد ينحى هذا النقد ـ النقد المنصف ـ إلى إيجاد جذور اجتماعية أو تاريخية أو سياسية لمصادر المآخذ لا لتبريرها ولكن للتعريف بواقعها وأسباب وجودها كذلك قد يؤكد على المناقب قصد تعميمها وترسيخها بين الجماهير .

والنقد المنصف هذا يبعدنا عن الأنانية التي ترفض لمجرد الرفض وتسمو بها هامشيات لمجرد الملاصقة والتقرب .

فالناقد المنصف لأي عمل وفي أي مكان وفي أي زمان ولأي كاتب . . لا يكترث كثيرا بتلك الملامح والظروف الا عند البحث عن جذور المآخذ فهي وحدها التي قد تثير عند الناقد بعض الاهتمام حتى يخلو نقده من التحامل .

نحو إرثنا الموسيقي







ليس بالصعوبة انتاج عمل فني موسيقي ولكن ليس من اليسير منح ـ المتلقي ـ أي متلق اذنا موسيقية ذات تقبل سريع . . هذا شق من اجابة لسؤال يطرح بأكثر من صيغة . . أما الشق الآخر للاجابة فيأتي على هذا النحو : قد يبدو يسيرا ايجاد متلق ذي رغبة في الاستماع ولكن كثيرا ما ينفر من تلك الجمل الموسيقية المصوغة على نحو يدعو للغثيان . . ومن هنا يصبح مهما وجود ـ المتلقي ـ وهاما وجود النوعية الموسيقية التي يتعامل ويتفاعل معها المتلقي وكلاهما ، المتلقي والموسيقي ، ضلعان لمثلث قاعدته أدوات وأساليب التقديم .

والموسيقى لغة من أقدم لغات الحياة عموما ، وهي

اللغة التي بالامكان التعرف عليها من قبل كل المستويات التخصيلية والثقافية ، أياً كان موقعها .

وقد لعبت هذه اللغة على مختلف عصور الحياة دورا حسب التوجه القادم من المستفيد . ففي الحروب مثلا استخدمت هذه اللغة في حشد همم الجنود واثارة الحماس بينهم وحثهم على التقدم . . أما في حالات السلم فجاءت الموسيقى لبعث نوازع الترويح في نفوس المتلقين ودفعهم الى الانتاج اليومي .

وقد استطاع المؤرخون لحياة الشعوب والحضارات أن يرصدوا الكثير من المظاهر الاجتماعية والسياسية لتلك الحياة والسلوك العام للجماهير من خلال هذه اللغة . .

ولقد عرفت أهمية الموسيقى منذ آماد موغلة في القدم ، فوظفت في أكثر من مجال واستخدمت لتحقيق أهداف سياسية وأصبحت ميزة لساحة كاملة

خاصة بعدما اختارت كل ساحة موسيقاها لتكون رمزها السياسي كما هو الحال في النشيد المميز . . وأصبح الشعب أي شعب يرى في ذلك اللحن شخصيته وعليه أن يحترمه ويقف اجلالا لرمزه ويدافع عنه ليبقى صادحا .

و . . ظهرت مذ عرف السلم الموسيقي وحروفه وجمله . . رغبات لتطوير الموسيقى أيا كان ذلك التطوير . . وتركز فيما بعد على التوزيعات مع ادخال آلات قد تخدم العمل الفني عموما .

وهذا ما دعا الكثير من الموسيقيين الى تقديم اعمالهم مميزة بجمل خاصة أو آلات مستحدثة . . وملاحقة لذاك التطور وجدت القوى المعادية للانسان في الموسيقى . . فرصة لتعتيم الارث الشعبي ومحاولة طمسه وبالتالي اقصائه ونسف كل روابطه بالمتلقي . . وقد وجدنا ذلك واضحا في المجتمعات الغربية التي

انسلخت بالكامل عن تراثها الموسيقي . . وتحول هذا مؤخرا الى المجتمع العربي الذي راح ضحية المحاكاة والتقليد الفردي المسرف في العماء .

ان الموسيقى العربية قديما كانت أحد أدبيات المجتمع العربي الذي عرف فيها جملة من مواطن الاستفادة . . فهي كغيرها من الموسيقى لها أدبها ولها تكوينها الفني . . وقد وصلت بذلك درجة ابداعية ان لم تفق جل المتعارف عليها عند بقية الحضارات فهي لا تقل عنهم شأنا . . ولمسنا هذا في ارثنا الفني الذي كان الى وقت قريب مؤثراً في كثير من موسيقى العالم وهناك جمل عربية يتغنى بها العديد من شعوب العالم الذين وجدوا حسا انسانيا نقيا في اعمالنا الفنية .

غير ان ذلك الارث واجهته حملة تشكيكية وادعاءات تؤكد أن الفن العربي ضعيف التأثير ولا يقدر على تحقيق العالمية بوضعه الحالي . . وبرهنوا على

ذلك بشيوع الفن الغربي الممسوخ بين ابناء الشعب العربي . . ذلك الفن الذي سلب . .

من الانسان الافريقي وقدم بثوب مبتذل وباسم مستعار اطلق على بعضها ـ موسيقى الجاز . . . والجيرك . . والروك اندرول . . وغيرها من التسميات التي ترفضها لمجرد سماعك للأصل الافريقي النقي .

وقد أخذ الفنان المصري البعض خاصة الذي ارتاد مؤخراً هذا الفن اخذ على عاتقه مسخ الفن العربي وتأطيره بالموسيقى الغربية حتى تتثوب بالرداء العالمي كما يدعي متجاهلا الارث العربي في الفنون . . ونظرا للتوسع والتقبل الذي حظي به الفن المصري بين جماهير الوطن العربي فقد حاكاه الشباب الذين قدر استيعابهم للارث متواضع ، الى جانب انهم أي الشباب قد وجدوا في ذلك الفن فرصة جيدة لاجتذاب اترابهم ممن

قد تأثروا بالقشور الغربية وراحوا يرددون موسيقى الفرانكوأراب كما سماها أولئك المتغربون وحتى أثناء المحاكاة لم يهتم الفنان العربي كثيرا بالآثار الموسيقية العالمية حقا . .

والتي تقع في الأعمال السيمفونية لكثير من عمالقة هـذا الفن أمثال استنسـلافكي وباخ ومـازورت وبيتهوفن وغيرهم . .

أولئك الذين تركوا للبشـرية أعمـالا فنية . . رائعة . . ولم يتأثروا بتلك الأعمال التي قدمت على شكل فن مسرحي متكامل أوبرا . ولكن جانب التأثير لامس ضفاف المشاعر . . وحواشي الابداع ، تاركين لب الانتاج الانساني بمعزل عن التعامل . . أوعز ذلك الى ضعف المنتج الذي تتضاءل ثقافته الموسيقية امام ذلك الزخم الفني العالمي . . فجاءت اعمالهم متفهـة وضعيفة وفي منأى عن الموسيقى الرائدة . . . وما هي

الا ايقاعات وحروف وحركات لا تعني اكثر من مجون موسيقي وخبل فني . . والمحزن ان مثل هذه الأعمال وجدت أرضية تقف عليها واناسا يتعاملون معها واصبحت بالتالي تشكل قيمة فنية بين شباب اليوم الذين نعذرهم لعدم وجود خلفية موسيقية لديهم ولقلة الانتاج الجيد المطروح امامهم .

وإذا كان الفنان المصري البعض أول من وقع فريسة للتيار الموسيقي الغربي المفتعل ، فان فناني الاقطار العربية الذين حاكوا ذلك الفنان وقعوا في ذات المأزق وراحوا يحومون حول الفتيل الموسيقي الباهت المصري .

فقدموا أعمالا ليس لها قرار .

وإذا قلنا ما قلناه عن التأثير الفني القادم أصلا من أوروبا والذي فعل فعله على الساحة المصرية فان الفنان العربي الليبي كان احد أولئك المتأثرين بالفن الغربي . ورغم ما للفنان العربي الليبي من تراث قد

يبدو متواضعا ولكن وباعتراف موسيقيين لهم باعهم الطويل في هذا المضمار . . اعترفوا . . ان الفن الليبي له مقومات على قدر هائل من الجودة تمكنه من أن يكون في مقدمة الفنون العالمية . . وهذا الاعتراف يؤكد الاستحسان الذي قوبل به الفن الشعبي عند تقديمه على أرضية بلدان عدة عبر الفرق الشعبية .

غير أن موجة التأثير بدلا من أن تتدخل لتهذب الحواشي وتصقل عامل التقديم . . تحركت نحو جوهر العمل وبدأت في مسخه وتبديله وتغريب فنه لدرجة ان بعض الموسيقى وهي تقدم لا تعرف من أين هي مصوغة ومبثوثة الا بعد تعليق من مقدمها . . وحتى ذلك التعريف يختفي باختفاء المعرف ونعيش بعدئذ في اللاجو واللاموقع المحدد لتلك الموسيقى . . وبذلك موسيقانا مسخت وتغربت واصبحت جملا بأنامل عربية ولكن بصيغ غربية وتركيبات مبتذلة .

واذ نشير الى ذلك فانما نقصد ان لنا تراثاً موسيقياً

جيداً بالامكان الاستفادة منه . .

قد يقول قائل . . ان التراث وهو يقدم على حالته العفوية لا يتلاءم مع روح التحضر القائم الآن وان كان هذا قولا مرفوضا . . غير اننا لا نرفض تطويره بشرط الا يمس جوهره وبنيته الفنية وليكن التطوير في طريقة التوزيع وتهذيب التداخل بين جمله . . حتى يستطيع هذا الفن أن يكون مؤثرا لا متأثرا . . . . فنا يتعامل معه الانسان العربي كجزء من تكوين ثقافته لا كفرصة ترويحية زائلة . .



الـدَور المفـقود لثقـافـة المـرأة ...







بدءا نتفق على ان التسميات التي جدت على الأدب مثلما في ـ الأدب النسائي أو النسوي . . . والأدب الشبابي أو الشبيبة . . والأدب الطليعي والأدب الرجعي ! ! ! والأدب المراهق . . هذه التسميات يبدو أنها تهدف الى القلم ـ المتناول . . إما تفريقاً جنسياً ـ ذكرا كان المتناول أو أنثى ـ أو دورا وتفاعلا . .

وهي في الحصيلة تسعى لتقدم أدبا كل حسب اسلوبه وادواته الكتابية وتفاعله أو رصده لمجريات الحياة . . علما بأن الآداب ـ في مفهومي لا يحق وصفها كذلك الا اذا كانت قيمة انسانية راصدة ومتفاعلة ومبدعة ومغيرة لأوضاع صدئة ومعوقة لحركة

التقدم الانساني . . أما عدا ذلك فهو انتاج لا يخدم الا مصلحة متناوله أو من وراء الأداة . .

○ وإذا كان ثمة انتاج سبق وان زج به ضمن تسمية معينة فاعتبر ذلك مجرد اسهامات تلك الفئة في هذا الحقل . . فالتسمية قدمت لتحقق مرحلة ـ عمرية ـ أو تفريقا جنسياً فقط . . مثلما الحال مع الأدب الشبابي ـ أي الأدب الذي يكتبه الشباب ومدى اسهاماتهم في هذا العمل كذا بالنسبة لأدب المرأة حيث نجد الدور الانتاجي الذي قدمته المرأة . وما يعنينا هنا ذلك الدور الذي تحاول أن تقوم به المرأة العربية الليبية في مجال الأدب واي اسهام لها ونتائج تحركها في هذا الاطار . .

○ وسائل يقول : رغم التغيير الذي شمل كل مناحي حياة الأرض الليبية ورغم التفاعل الايجابي لانسان هذه الساحة ومنجزاته الانسانية . . رغم ذلك

فالمتناولون ـ رجالا ونساء ـ لم يقدموا تلك الأعمال التي في مستوى ذلك الانجاز الهائل . . ترى هل ثمة سبب قد ينسحب على المتناولين « جميعا » ؟ . .

وللاجابة . . نجد ان اسبابا باهتة . . عرجاء . . تقف في بلاهة أمام الصدق والالتزام والاحساس بالمسؤولية منها :

○ الانبهار الذي لم يستطع الكاتب ان يقف امامه راصدا ومبدعا .

○ الحركة السريعة للانجاز تقف حائلا لتلاحق افكار الكاتب .

○ الحلم الذي تحقق على غرة . . ايقظ الكاتب على واقع لم يسعفه خياله بتحويله عملا . .

وهذه النقاط التي يحاجج بها بعض الكتاب . . في الواقع رغم صدق الحدث الا ان ذلك كان المفروض أن يحفز فيهم روعة الابداع والانتاج الخلاق لا لكي

يقف مندهشا أو متفرجا ليؤكد سلبيته وعدم قدرته العطائية .

والصحيح ان عزوف الكتاب وراءه اسباب غير ما ذكرنا من مواقف مشرفة للثورة وادانة مؤلمة لبعضهم .. أسباب كل يختفي وراء أخفها .. ويوصدون الأبواب لمناقشتها بصدق .. الأيام القادمة كفيلة بتعريتها وتقديمها وصمة عار على جبين بعض المتأدبين وهذا قد لا ينسحب على المرأة باعتبار أن دورها الثقافي لم يتحقق بعد ولم تتبلور الرؤى عندها كي تحقق تفاعلا ثقافيا داخل المجتمع .. وان كان ثمة اسباب لذلك فاني اجملها في الآتي :

⊙ الظروف الاجتماعية حالت في الماضي دون ظهور المرأة المثقفة وتقديم اسهاماتها للمجتمع ... راصدة ومحللة ومعالجة قضاياه .. لعل أبرزها الموقف الزوجي وموقف الآباء ذوي العقليات الرافضة لدور المرأة الاجتماعي خارج البيت .

○ الظروف الثقافية التي أسهمت في ابطال مفعول ثقافة المرأة وذلك لعدم قدرتها على اقتناء الأجود وتقديم الانتاج الى وسائل النشر والتي بدورها أجهضت جملة من الأعمال اما لعدم وعيها بالدور الحقيقي لتلك المشاركات أو لعلة في نفس يعقوب .

○ عدم وجود رؤى واضحة امام المرأة لمشاكل مجتمعها لضعف الاطلاع المباشر والمعايشة للمشكلات العامة بسبب قلة الاندماج في أوضاع اجتماعية متباينة .

○ الخوف من الخوض في المشاكل وإبداء وجهات نظر أو استقدام بدائل . . والخوف هذا سببه :

○ عدم التأكيد على صحة المعالجة .

○ عدم وجود بدائل افضل خاصة عند تطبيقها اجتماعيا .

○ الاتهام بالغباء وعدم القدرة على ايجاد الأنسب

من الحلول لمشاكل المجتمع .

○ سيطرة الزوج ما زالت قائمة وهو الرافض لمشاركة زوجته في المسيرة الأدبية لأن ذلك يحتم على الزوجة الاتصال بالآخرين والتحرك في كثير من المواقع والتعرف على الكثير من الجماهير فالزوجة المثقفة يقل أو ينتهي انتاجها لمجرد دخولها بيت الزواج وان كانت هناك بعض الحالات التي أكدت فيها الزوجة دورها داخل مجتمعها وقدمت اسهامات متواضعة . . فهي نسبة أقل من أن تذكر ، فهن احاد ومشاركتهن ما زالت في طور النمو .

○ وقت المرأة هو الآخر لم يساعدها على التحرك نحو الانتاج وبالتالي الابداع . . خاصة اذا كانت زوجة أو عائلة لأسرة . . لأن الطبع الموروث داخل الاسر العربية الليبية ما زال يؤكد استضافة الأقارب والأصدقاء بمناسبة أو بدونها وتكليف الزوجة بالعمل على ارضاء القادمين ، وهذا يستنفد الكثير من وقتها

ويشل جل تفكيرها الابداعي وهذا الظرف ينسحب عليها أيضا . . لأن ثمة التزامات امام صديقاتها لا بد من الايفاء اجتماعيا بها.

○ وهذا الواقع ينسحب على المرأة العربية عموما باستثناء بعض الأقطار التي أكدت فيها المرأة على ايجابيتها وتحركها نحو التفاعل داخل المجتمع معالجة ومغيرة ومبدعة . . واذ نركز على المرأة ليس لدينا اية نسبة في التفريق انسانيا « لأن التفريق بين الرجل والمرأة انسانيا هو ظلم صارخ ليس له مبرر » ولكن كما أسلفنا تميزنا بينهما طبيعيا - بيولوجيا .

وسؤال يفرض نفسه هنا يقول : أية مواصفات أدبية نرجوها كمشاركة المرأة في مسيرة حياتنا الجديدة ؟ هنا تبدو بعض الملاحظات على تلك الاسهامات المتوقعة والمنتظرة .

○ النضوج العلاجي للمشاكل الاجتماعية وتحديد

البدائل كتغييرات طبيعية وواقعية .

○ الابداع الفني في التناول وهذا يتأتى بالمشاركات المتكررة وتحديد الخط العام للتعامل مع قضايا المجتمع .

○ رصد المسيرة العامة وتقييمها مع تحديد المسار الفكري لكل مرحلة لمعرفة التطور والخمول ونوعية المعالجة .

○ بحث ادوات الاتصال الجماهيري المثلى ومعرفة الكيفية الجادة لتحقيق التأثير العام ، ولعل وجود مطبوعة قيمة وبرامج مسموعة ومرئية على قدر كبير من الجودة ستؤكد الايجابية المرغوبة والدور الحقيقي للأدب الذي تضطلع المرأة بجانب منه .

هذه لمحات قد تضع بعض العلامات على طريق المساهمة الفعالة للأدب كي نحقق التكامل العام .

الفكر بين التعبير الجمالي وجمال التعبير







يبدو مرهقا تعريف الفكر بمفردات قليلة . ذلك ان أية مفردات ـ لتحديد الفكر وجميع المسميات المجردة ـ لا تقدر على منحها التعريف الشمولي الكامل . . فان قلنا مثلا ان الفكر هو جملة من الحلول لقضايا متباينة طورا ومتجانسة أطوارا . .

أو هو مجموعة الأبعاد التصـورية لمراحل حياتية متزامنة واقعيا مع أوضاع اجتماعية . وقافزة نحو الغد القادم أو قلنا ان الفكر هو علاقة الانسان بعالمه أخذاً وعطاء هذا القول غير كاف ويتحتم اضافة التنوع الذي يصاحب الفكر والانتماء حيث نجد ـ

○ الفكر الواقعي المجسد لحياة البشر والمبدع الذي

يتجاوز اللحظة الى القادم ـ وهو عادة الفكر المتفوق . . .

○ الفكر الذي يعالج الجوانب السيكوبولوجية ـ النفسية ـ للانسان ويقدم الطموح الأمل واليأس القنوط .

○ الفكر الباحث في دلائل العزة وجوانب السعادة .

○ الفكر المعالج لقضايا الانسان بدليل وفرض وتجربة وبرهان مع تحديد مناحي العلاقة.

هذه بعض ملامح الفكر الذي يعد ومضات على طريق بناء الانسان وتحديد موقعه وتبشيره بغده الأفضل . وان كان هذا الفكر قد خلط بين الفكر المثالي والفكر العلمي فاننا في المقابل نجد فكرا آخرا يناقض هذا الفكر وهو الذي تسيطر عليه متاهات موغلة في التشاؤم أو تفرزه عقليات بنفسجية غارقة في

الذاتية والنفعية كما هو الحال مع :

○ الفكر ـ البرجماتي ـ النفعي ـ الأناني . . الذي تفرزه عقليات الاستعمار الامبريالي الذي طحنته المادة وصيرته عبدا للرغبات اليومية الغارقة في اتون التفسخ والاغلال والتصدع الاجتماعي .

○ الفكر الريائي وهو تفكير يتصف باللاتركيز واللانضوج وانتاجه جاء لمجرد ظهور طبقة !! ادعت الثقافة فأفرزت نتاجا غايته الاشارة الى منتجه بالمفكر . . وهذا النوع من الفكر لا يخدم أحدا حتى ، الذين انتجوه . . فهو استهلاك ترفي ، ريائي .

○ الفكر الطليعي ـ فكر الصفوة ـ وهم قلة من ذوي الثقافات الجيدة . . لكنهم عند تقديم فكرهم يغلب عليه الطابع البرجعاجي والنرجسية والتعالي على مجتمعاتهم فيأتي نتاجهم فجأة وفي منأى عن الجماهير وقضاياهم .

○ الفكر الانهزامي .. رغم ان الأفكار التي ذكرت هي روافد طبيعية للفكر الانهزامي الا ان التأكيد على هذا النوع الأخير كنوع قائم ، يجدر بنا تأمله وبحثه .. فهذا النتاج يكون مخططا له مسبقا ومحددا له مساراته لأنه ذا غاية وهدف محددين .. وهو الفكر الذي تبنته الماسونية العالمية منذ آماد موغلة في القدم وتطور بأدوات عصرية وأصبحت له مدارسه ومذاهبه ومفكروه .. ووضعت أهدافه بمعرفة جهابذة الصهيونية العالمية ودوائرها المتواجدة على أكثر من ساحة ولقد أتى هذا الفكر نتائجه المرضية في المجتمعات الأوروبية والأمريكية بشكل غير متوقع .. وقل دب هذا السرطان الماسوني في بعض أوصال الكتاب العرب المأجورين وصار نتاجهم متوفرا في الأسواق .. والمتلقي يقع فريسة في كل يوم لغلاف وجمل خادعة .. وهذا الفكر الانهزامي بما أتيحت له من فرص التسويق الجيدة أصبح هو البائن

بين جل الثقافات والفكر عموما .

◌ ـ الفكر المشوش ـ غير القار ـ بحيث يتأرجح بين جملة المذاهب والمدارس والتيارات . . وهذا الفكر يتبع اما للسيطرة الماسونية أو لأولئك الذين لم يحددوا مسيرتهم الفكرية . .

. . . .

وإذا كان هذا استعراضا موجزا لبعض نماذج الفكر المطروح والذي يؤثر سلبا في مسيرة الحياة . . فان الدعوة للمتلقين الذين ما زالت رؤاهم منكفئة على الاطلاع السهل والخادع الى رفض هذا الانكفاء والثورة على إسقاط هذا الهوس واقتلاعه ونسفه ومحقه والاتجاه نحو الفكر الإنساني المبدع .

◌ ان الفكر المبدع ذلك الذي ينبع من وسط الجماهير بأفكارهم وأدواتهم وطرائق العلاج التي تحقق مجتمعهم الخالي من كل سلبيات الحياة واسقاطات القوى المعادية لهم . .

وعند هذا الفكر نجد أن بحث بعض جوانب التقديم يبدو مهما وعلى قدر من القيمة الفكرية التي تؤكد أهمية التفاعل والتأثير . .

فرغم أن ثمة آداب انسانية المحتوى وتقدمية الهدف الا انه عند التناول يقع ـ مقدمها ـ في هوامش كثيرا ما يعتبرها ذات قيمة في حين تصبح هي التشويش والتغريب المباشر . . ومن خلال ذلك يمكننا تقسيم جانب التقديم الى :

○ جانب تقديمي يعتمد التعبير الحياتي الجمالي قيمة هامة . . فنرى الشخوص ذوي الثقافات والتحصيل المتقدم . . وذوي الطبقات والأوضاع الاجتماعية المسيطرة خاصة في المجتمعات الرأسمالية أو المتقلبة . الى جانب المواقع التي تنزع الى الحياة المترفة والدور البرجوازية . . أما المشاكل فهي تلك التي تعتمد الصراع نحو الاستحواذ والتملك والسيطرة والدسائس . .

يغلف هذا الواقع مفردات تتلاءم وتحرك هذه النماذج . . في الوقت ذاته نجد الواقع القادم في المقابل يدعو للأسى والأسف ويدعو للتقزز وتقديمه كلمة فنية كتكسير لحدة الجمالية أو لابراز الجمال بشكله الحسي .

○ جانب تقديمي يعتمد جمال التعبير وهنا يختلف الحال عند الأول حيث التعبير الحياتي المنسجم وواقع الجماهير هو السمة المميزة لذاك العمل والجمال هنا ـ جمال التناغم بين الشخوص والأحداث والأداة والعلاجية . . بمعنى . . المقدم . . يضع أمام قرائه نماذج بشرية من واقع المجتمع العام . . هذه النماذج هي التي منها المشكلة وهي التي تتفاعل مع الحدث العام مع تقديم شخوص لا يهم مشربها بقدر ما يهم تفاعلها . . .

وكثيرا ما تكون من الفئة الكادحة التي تريد أن

تنتصر لها من اعدائها المسيطرين على مقدراتها وحريتها . . وفي المقابل يأتي بشخوص أخرى ساقطة في أتون السيطرة والهيمنة والكاتب هنا يقدم الكل بتفاعل صادق ومؤثر مبرزا الحلول الانسانية المثلى . . فهو يقدم أولئك البؤساء باشكالهم وسماتهم الحضارية وواقعهم الاجتماعي واسباب ذلك وانعكاس هذا على واقعهم . . وفي الاثناء نجد أولئك المهيمنين بلكناتهم واسرارهم وتصرفاتهم وعشقهم الطبقي السلطوي . . مبرزا كل ذلك في اطار جمالي . أي تناسقي ـ ليصل بنا الى حلول اجتماعية منصفة لكل اطراف النزاع والصراع .

○ وقد رأينا نماذج للجانب الأول عند بعض المنتجين الغربيين الذين صاغوا أفكارهم ـ المورفينة ـ وأسقطوها على مواقع تواجدهم فجاءت أعمالهم اما مترفة ومشخنة بالتفسخ الحضاري أو منكرة لأحقية تعايش التعساء بينهم . . مؤكدة على أن أولئك المترفين

هم أولى من له أحقية التعامل الحياتي .

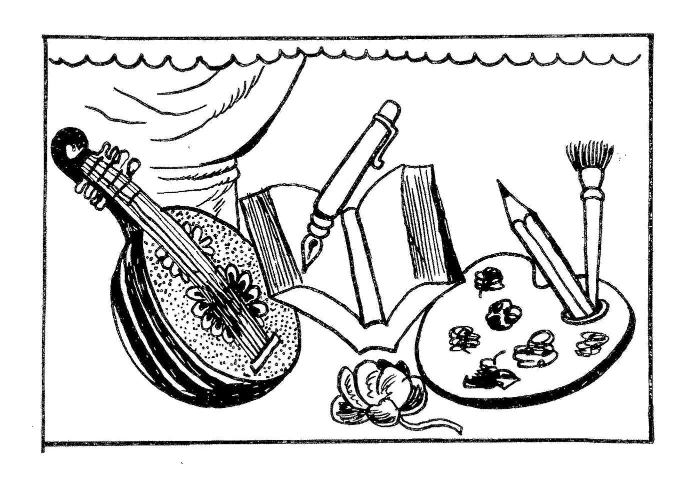
○ اما متناولو الجانب الخاضع لانسانية الانسانية وقيمته التفاعلية المؤثرة في مسيرة الحياة وضرورة منحه فرصة التغيير . . فقد ذهبوا الى بيئاتهم ونبشوا كل مظاهر الحياة فيها . . مؤكدين على الايجابيات والواقعية في النفسيات النقية والأمل الحق والتعامل الانساني ومسقطين كل الارث السلبي أو النفايات القادمة من أقبية الغرب . . ومعالجين الأوضاع الحادة من سيرهم والمعوقة لطموحاتهم . . موجدين البدائل الهادفة الى التغيير واحلال الايجابيات .

ومن هذا الواقع الجديد نلمح ان مجال التعبير هو الأقرب الى واقع الجماهير منه الى التعبير الجمالي المنسق والمعد للخواص والصفوة .



الابداع بين الاحتكار والاستغلال والمتلقي الضحية







التعبير الابداعي هو ذلك الافراز العملي الذي يتخذ طريقه من الحيز الذهني الى الواقع التجسيدي والابداع هو ذلك الموجود وفي انتظار من يعريه ويقدمه في اطاره المتحرك البارز . . . وتلازم التعبير الابداعي. والابداع يتشكل الخلق الكامل للعمل ـ الفكرة ـ . . وخلال مسيرة الحياة طالعتنا ملايين النماذج الابداعية في مختلف مناحي الحياة . . منها ما استمر مع الحياة مثرياً إياها ، ومنها ما بقي علامة على تفتق ذهن البشرية . . ومنها ما طواه الدهر بابداعات اقدر على شمولية الحياة واقوى على تحدي القادم . .

وإذا حاولنا أن نعكس ذلك على التقدم التقني فان

شواهده كثر . . . وان أردنا الاستبيان بأدلة على التسامي الفكري في ميدان الثقافة . . فان الأمثلة لا تحصر . .

ولقد عرف دور الإبداع مذ عرفت ماهية الابداع ذاته، حيث سعت كل النظم للاستفادة بأكبر كم منه وكيف في تقديم خدمات للانسانية حيث كانت كل الاكتشافات الابداعية تقدم للانسان مباشرة وككل . . ولكن بعدما عرف الصراع وعرف التحكم . . وعرف الاستحواذ . . أصبح الابداع يحتكر ويقدم لفئة ليحجب عن اخرى أو يستغل أبشع استغلال . ولقد عرفت الاتجاهات الليبرالية البرجوازية في الفكر والسياسة والفن وكل صور الانتاج الفكري . . عرفت باحتكاراتها للابداع القادم عبر الانسان . . . ووظفته لحماية نموها الرأسمالي الاستغلالي . . ولتمكينها من التسلط والهيمنة أكثر . . ولتوظيفه في معاداة آمال الجماهير

الساعية نحو غدها الأخضر . .

وإذا كانت النظم الرأسمالية تفعل ذلك ، فان النظم المتقلبة عنها تفعل ذات الشيء وان كان أضعف وطأة . .

❋ وإذا كان التطور قد صاحبه اختراق واختزال للزمان والمكان في مجال الابداع . . . غير ان هذا الاختراق والاختزال جاء بنتائج عكسية وقعت في اغتراب الانسان عن بيئاته ومجتمعاته الفطرية . . والعفوية . . حيث تحول ابداع الانسان عن تلك النظم الى سلع محتكرة والى ادوات حدت من حرية الانسان التي تحولت الى وهم سرابي . .

❋ والابداع على هذا النحو اصبح مدعاة للخوف خاصة في المجال التقني . . حيث ظل الصـراع والتسابق ديدن الكل دون مراعاة لقيمة الانسان المتفاعلة والباحثة عن فردوسها الأرضي . . ولقد لجأ

اخيرا الانسان الى موقع مغاير ـ الى حد ما ـ لذاك الابداع التقني . . عله يجد فيه موطىء قدم . . يجعـل منه متنفسـا عن همومـه اليوميـة ومشاغله المستقبلية . . غير ان ذلك كان صدمة مفزعة حين واجه نفس الغول الذي كان الانسان يعتقده الطائر الوسيم الذي يحلم به . .

❋ ان الابداع الفني الذي ظن الانسان انه الأداة الوحيدة الباقية له بعد ما صدم في المجال التقني المدمر . . ذلك الابداع وجده لا يقل خطورة عن ذاك المحمل بالأشعة . . الفاقدة للوعي أو الناسفة للوجود عموما . .

❋ فاذا ما تصفح كتابا وجد ابداعا فكريا . . سرعان ما يكتشف انه قد وظف لتغريبه وتعتيم قضاياه واذا ما حضر مسرحا فانه يجد خلقا فنيا . . في البدء يظنه بلسمه ولكن ما إن يداخله حتى تنكشف نواياه ويجد نفسه ضحية مؤامرة فنية أو ابداع

فني . . فقد تحول الابداع الى أدوات قهرية للنفس الانسانية ومخلب مثقف (مصقـول) لانتزاع الانتـهاء . . والأمثلة على ذلـك كثيـرة . .. فهـذا يكتشف في بيئته الله ثم سرعان ما يعلن عن موته لا في نفسه فحسب بل وفي نفس متلقيه « نيتشه ».وهذا دارون يعلق معرفته بسر الحياة ولكن لانتزاع كل أسباب الحياة الانسانية عن الآخرين . . وهذا . . فرويد يؤكد صدق معرفته للتعامل العاطفي ولكن لانهاء اسمى عاطفة عند الأبناء والوالدين والتشكيك في نوعية المشاركة الوجدانية . . وذاك شاغل يفاخر بوجود الجمال ولكن يتفه القيمة الجمالية للحياة البشرية .

هؤلاء وغيرهم كانوا من المبدعـين في تقديم معارفهم في اطار الابداع الفكري . .

غير ان هدفهم ليس إسعاد الانسان ولكن لتمزيق

كل طموح انساني . . وكل ومضة امل قادمة من الغد المشرق . . ولقد استطاعوا بالفعل تعتيم القادم وتحليك المستقبل . . وتتفيه كل فكر يحاول معالجة القائم من الواقع المتردي . .

هـذا لا يعني فساد كـل ابداع والـدعوة الى مجافاته . . وانما ثمة ابداع فكري ما زال يحاول أن يأخذ مكانه ولكن خطواته التأثيرية وئيدة الحركة بفعل ذاك الشد الرهيب الذي تمسك به الامبريالية العالمية . . ليبقي على مصالحها ونفوذها . .

❁ ولا بد هنا من تحرك جماهيري . . علمي يعي التفريق بين الابداع الانساني الهادف الى تخليص البشرية من مهاوي التخلف والدفع بها لتحقيق المزيد من انتصاراتها واستزادة مكاسبها . . وبين الابداع الموجه لخنق الحريات وتثبيط عزائم الجماهير والفت في عضدهم . .

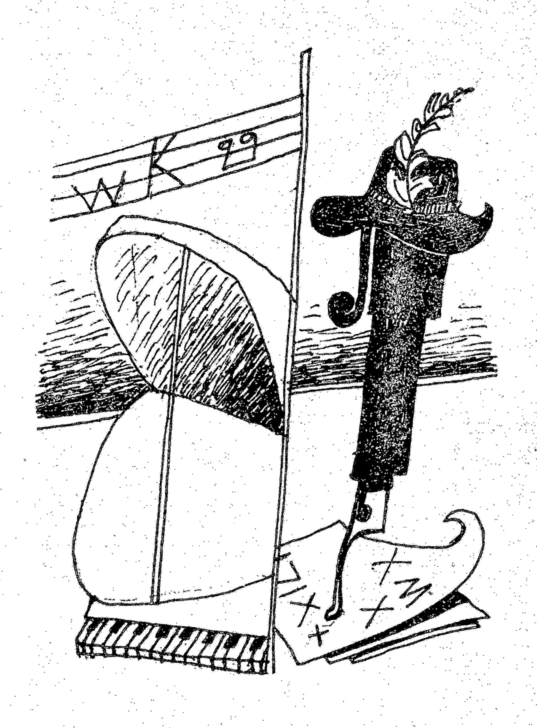
ان هذا التفريق هو الآن أهم من أي وقت مضى لأن الاستعمار أصبح يدرك دور الابداع . . ولمجرد ظهور أية ملامح ابداعية في جانب فكري يسارع الى الاستحواذ عليه بكل الطرق التي تعجل بالمزيد من عائداته سواء المادية منها أو المعنوية . . وقلما يفلت ابداع من الطوق الرهيب المحاصر للانسان ، واذا ما تمت عملية الافلات تلك . . فان الجماهير تصبح هي المطوقة . . والمحاصرة حتى يفشل ذلك الابداع ولا يؤدي دوره المؤثر . .

❊ ان الوعي سواء من المبدع أو المتلقي هو احد الركائز الهامة في عملية تفويت الفرصة على قوى الشر من استغفال المبدع . . وتجهيل وتعتيم الواقع على المتلقي . .



التغريب الثقافي







الأمة العربية تعاقبت عليها جملة من العوامل ، تارة من صنع الاستعمار ، وتارات من صنع أبنائها ، الذين تأثروا بما زرعته العقلية الاستعمارية التي خططت لمسخ الشخصية العربية ، وتغريب الانسان العربي عن مواقعه ، وتفتيت روح الانتمائية بين أبناء الأمة الواحدة . . وقد جاءت هذه العوامل محكمة التوقيت ومنسقة المراحل والأسلوب . . فالتوقيت تم فيما بين القرنين: الخامس عشر والسادس عشر . . ـ حين كانت عدة صراعات سياسية تمارس على الأرض العربية فالهت المهتمين بالفكر عن رسالتهم والبحث عن جوانب آنية التحقيق . . ومنسقة المراحل ، كانت الساحة العربية قد بدأت

تشغر من المساهمين في بناء غد امتها والحيلولة دون استشراء الفكر الأجنبي فيها . . اما الأسلوب فقد جاء متباينا في الشكل متحدا في الغاية . .

فقد جند الاستعمار العديد من عملائه ، وزرعهم في عدة مواقع عربية بأدوات فنية مختلفة ، منها تشويه التراث واستبدال جيده بآخر غاية في السوء ، وتحريف مواده التحصيلية والتقليل من قيمة تفاعله الحياتي بزرع التشكيك في كل مقدراته وقدراته . . هؤلاء المنبثون استطاعوا فعلا أن يؤثروا في فكر الانسان العربي ، ويحققوا أهدافهم . . واستطاعوا كذلك ان يخلقوا لهم قواعد من أبناء الأمة ذاتها مسخت شخصيتهم ، واضعفت انتماءهم . . وهكذا فان الأمة العربية الآن تستطيع أن تقول : انها مقسومة الى قسمين . . لا بفعل الاستعمار مباشرة ، ولكن بفعل ابنائها . . ربما بتأثير غير مباشر للاستعمار خلال ترسبات زمنية طويلة :

فالغزو الفكري الذي عم الوطن العربي رغم انتهاء الوجود العسكري الاستعماري ـ نسبياً ـ من فوق أرضه قد حل محله الاستعمار الثقافي الذي ما زال مستشريا بين أبنائه بسبب التكوين الشخصي للمفكر العربي الذي ـ حتى وان لم يكن عميلا ـ فقد استقى ثقافته وجمع مواد تحصيلة من الموجود امامه ، والمتاح له اقتناؤه ، مما أدى الى افراز ثقافة شكلها يبدو ، عربيا ، ولكن المحتوى يئن تحت التأثيرية المباشرة ، سواء في مجال الطرح أو العلاجية .

وهكذا تفشى كل هذا الانتاج في الوطن العربي واثر في الثقافة وهو « انتاج الاستعمار» انتاج المكابرين انتاج التافهين الذين يقلدون مثل القرود ، يقلدون الاستعمار ، ولم يتحدوا الاستعمار بالأصالة العربية وبالتراث العربي ، وبالشخصية الذاتية ، بل ضحوا بهذا ، وأخذوا من الاستعمار في محاكاة له حتى يشعروا انفسهم بأنهم مثل هؤلاء الناس المتقدمين ،

والمتحضرين على حسب قولهم".

وبات المثقف العربي محركه الأساسي مواد وأدوات غريبة عن أمته وبعيدة عن اصالته ، وصار يرى في هذا التغريب واقعا معاشا يدافع عنه وينتمي اليه احيانا بعفوية ، واحايين اخرى بتحريض من القوى الاستعمارية . .

ولم يفق المثقف العربي من هذا الازعاج الفكري المترهل الا بعد ان دقت نواقيس الثورة معلنة ضرورة القضاء الكامل (وكنس كل هذه التراكمات ـ السخيفة ـ في الوطن العربي في ميدان الثقافة العربية) والعودة الى النبع الحقيقي لاصالة هذه الأمة حتى (يمكن أن نخلق في المستقبل عقلية جديدة عربية واحدة ، واذا كان هذا النبع صافيا فستكون هذه العقلية تقدمية ومتحررة) . .

ورغم مرور تسعة أعوام تقريبًا على اعلان زوارة

التاريخي 15 إبريل 1973 فان بعض الأقلام ما زالت . . سواء في الجماهيرية أو في بقية المواقع في الـوطن العـربي تفـرز مـواد يعتليهـا الصـدأ الاستعماري ، وتحتويها افكار مشوشة ، وان افلتت بعض الأقلام من هذه الدائرة فهي لم تصل للمستوى الذي يرجى من ورائها . . وهكذا نجد أن الجيل الذي يحمل الكلمة هو مقسم الى قوى رجعية ، واخرى تقدمية ، وبينهما قوى سلبية الموقف فالمثقف الرجعي يفسر كل المعطيات من خلال نظرة ما زالت تسيطر عليها عقليته التي لم يستطع بهـا مواكبـة المرحلة ، ويتخلص من الأخطبوط الغربي الذي أمسك بكل حواسه وأدواته ، وبقي يدور كالثور الاسبـاني ، يحـاكي النقص ، ويمـارس الكتـابـة البنفسجيـــة

أما المثقف التقدمي فقد تخلص نهائياً ـ بفضل ايمانه بالواقع الجديد ـ من رواسب الماضي باستيعاب كامل

لمقولات واطروحات ثورة الجماهير ، مفرزا بذلك مواد فكرية تبشر بعصر الجماهير ، وتعالج قضايا انساننا المعاصر برؤية جديدة ، وفكر ثوري صادق ملتزم . .

اما النوعية الثالثة فتتمثل في المثقف السلبي الذي يرى كل ما يدور حوله ، ويدرك دوره، ولكن السلبية التي سيطرت على تكوينه العام ، والتي لم تتح له الفرصة كي يواكب تطلعات الانسان الجديد جعلته يكتفي بانه ـ كم ـ كل ادواته معطلة .

وهذا التقييم العام للبنية الفكرية المعاصرة تضعنا امام تساؤل يفرض نفسه بالحاح . . ماذا قدم المثقف التقدمي خلال كل هذه المدة ؟ وما مصير الرجعي والسلبي ؟ بالنسبة للشق الأول من السؤال . . يبدو ان الكم باهت ، وكان المفروض ان يكون على قدر عددي اكبر .

اما الكيفية فهي لا تدعو للقلق مطلقا ، لأن جانب الالتزام الثوري قوي . . اما الشق الثاني فقد قالت فيه ثورة الجماهير رأيها بصراحة ، ودون مجاملة ، الاسقاط الكامل من المسيرة والسحق الفوري للرجعي ، لأن مثل هذا يعوق المسيرة ويحد من انطلاقتها ، بما ينفثه من سموم عبر مواده التي يقدمها للقارىء الذي كثيرا ما تبهره تلك الأدوات وذاك الطرح . .

أما السلبي فالابقاء عليه يفرض نوعا من الحذر ، لأن استقطابه يبدو سهلا . . وعلى ذلك فان مسؤولية الثوريين بعث حركة في أوصاله وتحريضه على المشاركة والاندماج الايجابي خاصة وهو - أي السلبي - لم يحدد هويته بعد . .

بقي جانب مهم يأتي في ماهية القضايا التي يجب ان يهتم بها المثقف الثوري ويتناولها بكثير من

الموضوعية ، ويقدمها الى انسان هذا العصر . . عصر الجماهير ، ايا كان موقعه . . هذه القضايا حددتها ثورة الجماهير في الكتاب الأخضر عبر فصوله الثلاثة حيث (يبشر ملايين العمال والاجراء بنقلهم من خانة الاجراء الى عالم الشركاء ، ويبشر بتحرير خدم المنازل من الرق والعبودية) . .

ويؤكد ان (التمثيل تدجيل ـ ولا نيابة عن الشعب ـ والديمقراطية هي الحكم الشعبي وليست التعبير الشعبي) ومقولاته تدعو المجتمع الانساني الى المحافظة على علاقاته الاجتماعية حيث انه من المهم جدا للمجتمع الانساني (ان يحافظ على التماسك الأسري والقبلي والقومي والأممي . . ليستفيد من المنافع والمزايا والقيم والمثل التي يوفرها الترابط والتماسك والوحدة والالفة والمحبة الأسرية والقبلية والقومية والانسانية) .

ان رسالة المثقف الثوري الآن تبدو واضحة

المعالم ، محددة الهدف ، وما على حملة الأقلام الهادفة والأفكار الملتزمة الا التحول نحو المشاركة الايجابية ، والخلق البناء ، والعطاء الجيد وفق الأسس التي سبق التعرض لها .. حيث اتضحت ـ الرؤية ، وأصبح لدينا نظرية متكاملة بجوانبها الثلاثة يتمكن الثوريون من خلالها من طرح افكارهم بغية بناء مجتمع عصر الجماهير ..

وحتى تتجسد كل هذه الطموحات الانسانية الصادقة وتنطلق من هذه الأرض المعطاء دوما مبشرة الانسانية اينما حلت بالانعتاق من قيود الظلم والقهر والتسلط .. سنكون أبدا محرضين على مواصلة الرسالة وتحقيق الأفضل للبشرية قاطبة ..



الثقافة بين النشر الشعبي والنشر الحكومي




دار نشر



الانسان العربي كان وما زال مستهدفا من قبل جملة من القوى الاستعمارية الرجعية التي لها اطماع في وجودها على الساحة العربية . . سواء كان ذلك بالشكل المباشر أو وجود أدوات توظفها لحسابها . . ولتحقيق هذه الغاية الاجرامية وظفت كل امكاناتها ، متخذة اداة الاعلام كأهم أداة على الاطلاق . . لما لهذا القطاع من تأثير مباشر على التكوين والتفاعل والتأثر والمؤسف ـ في هذا الصدد ـ ان القارىء أو المستمع أو المشاهد قد أغرته بعض الصيغ والأساليب فانجذب نحوها وراح يمارسها بل انه أصبح يدافع عنها . .

وهذه النماذج من المتلقين تأثروا بالمادة المطروحة

لأن ـ المرسل ـ الذي هو في العادة اما ناشر أو باث سمعي أو مرئي . . هذا المرسل سقط اما عفويا وذلك بقصد ـ الربح ـ السريع فقط دون النظر الى نوعية المادة ودورها أو موظفا من قبل الرجعيـة والاستعمار ليحقق المخطط . . وسواء كان عفويا أو موظفا فان النتيجة واحدة وهي استلاب القارىء أو المشاهد وتغريبه واضعاف انتمائه وبالتـالي تحقيق ارتمائه في احضان احد النظم الانهزامية ليكون اداة مباشرة تنفذ الاملاءات وتمارس دورها في اضعاف البنية العامة للمجتمع .

نوعان من الدور

ولقد لعبت دور النشر في الوطن العربي الخاص منها والعام دورا جاء محطما لطموحات الانسان العربي وآماله في الوحدة وتحقيق الغد الأفضل . . وذلك بنشرها لمواد فكرية رخيصة كتبتها أقلام ، اما عربية

مأجورة أو ماسونية مستترة تحت الشعارات الزائفة ، والواجهات المخادعة . .

ودور النشر هذه تنقسم الى نوعين :

○ الأول . . وهو القطاع الخاص (الاستغلالي) . . وهي الدور التي تنشر - كل شيء - يحقق لها استغلال - المتلقى - وتحقيق فائض مالي على حساب فكر ومستقبل الأمة العربية المستهدفة دوما من قبل الامبريالية والرجعية ، والاستعمار العالمي ، وتمارس هذه الدور لعبتها بعيدا عن المراقبة والتدقيق والرؤية القومية .

○ الثاني . . وهو القطاع العام (الحكومي) الذي يقدم مواد موظفة للمتلقي ساعيا بذلك لتأكيد الاستعمار الثقافي والموقف الانهزامي وذلك لترسيخ اقدام الحكام الديكتاتوريين على تلك الساحة .

ويحدث كل ذلك في الأنظمة التي لا يسيطر فيها الشعب على دور النشر ـ المرسل ـ وتسخيره لخدمة قضاياه وتأكيد سلطته وحريته فالشعب العربي ما زال يمارس ضده القهر والتسلط والهيمنة والديكتاتورية .. لأنه مسلوب الحرية فاقد للسلطة .. متحكم في مصيره .. فهو لا يستطيع ان يمارس حرية التعبير لأنه فاقد للحرية .. ولا يقدر على ممارسة السلطة ، لأن القوى الحاكمة وحدها التي تملك السلطة.. ولا يستطيع تقرير واقعه لأن قدراته وامكاناته مستعبدة ..

فهذه الدور ما زالت تخادع المتلقي وتحاول إجهاض كل طموحاته والاجهاز على كل آماله .

و.. الحل

ولن تنتهي هذه الدور من نفث سمومها وتتفيه

الثقافة العربية واستلاب الجماهير من كل انتماءاتها القومية وتغريبها عن تراثها وماضيها . . لن تنتهي الا بقيام سلطة الشعب على غرار ما هو واقع على الساحة العربية الليبية التي تخلصت نهائيا من عبودية كل انواع الحكم واقامت سلطة الشعب . . فهو الحاكم وهو السيد .



كلمات للتعريف



(1)

الأدب

الأدب الثوري ابدا هو الذي يؤثر في المسيرة الحياتية العامة من خلال مواكبته وتفاعله مع الأحداث ايجابيا . . . .

والكاتب الثوري هو الذي يوظف كل امكاناته الفنية المشبعة بآراء وأفكار تقدمية ملتزمة تخدم قضايا شعبه الزاحف نحو تحقيق مقولاته الانسانية الرائدة .

وتمضي الثورة ثائرة محطمة المعوق . . . ومجسدة الأمل والصدق مقوضة كل الهوامش والنفايات الرجعية . . . مؤكدة البنية الاشتراكية الجديدة المرسخة للعدل والتكافؤ .

غير ان الأديب العربي الليبي ، لم يستطع مواكبة

ثورته ، فهو ما زال يقف مشـدوها طورا ، ومتخاذلا طورا آخر « سلبيا تارة ومثبطا لعزمه وعزيمته تارات أخرى . . مكتفيا بحمله لبطاقة عضوية اتحاد الأدباء .

هذا الاتحاد رغم كل الامكانات من مقر ومادة وايجابية الحركة بيد انه بقي مكانا لتبادل الزيارات ومناقشة ـ البيضة والدجاجة ـ لاهيا عما يجري من متغيرات على الساحة الليبية » .

(2)

الفنان

ليس ثمة تعريف للفنان الا ذاك الانسان ـ أيا كان جنسه ـ الذي يتفاعل مع احداث شعبه متأثرا بانتصاراته وابداعاته وخلقه . . مؤثراً في المسيرة العامة بانتاجه الصادق الملتزم . . وهو ذاك الانسان الذي يواكب خطوات شعبه محرضا بمواده الفنية الابداعية لكل شرائح المجتمع كي تواصل زحفها المقدس نحو البناء الأخضر للغد الوضاء . .

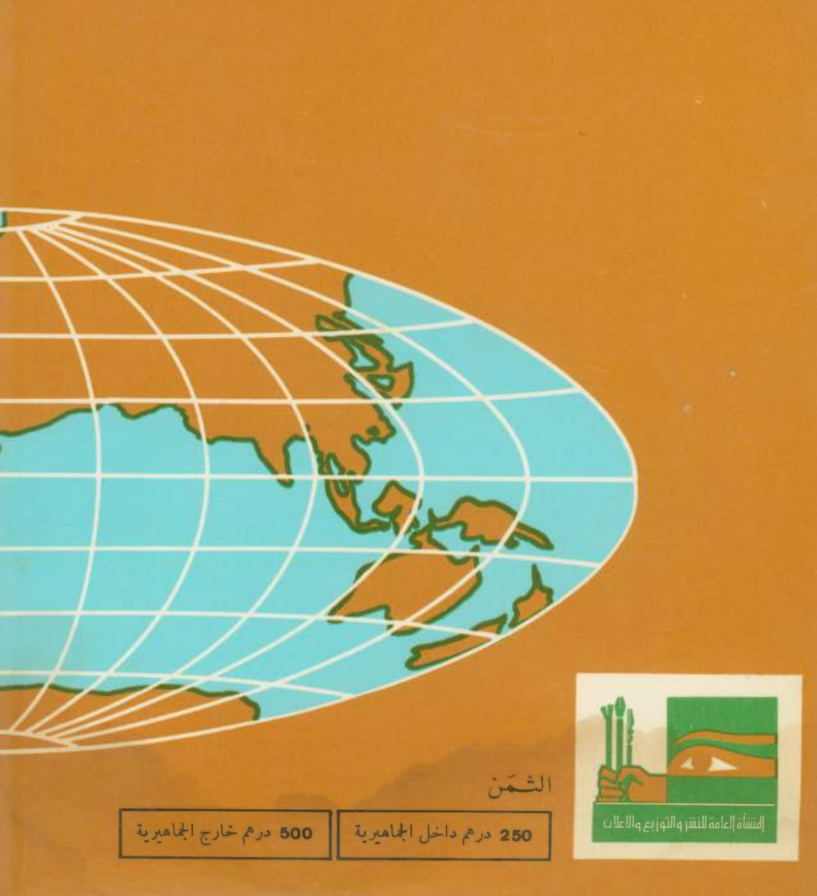
والفنان على هذا النحو يعول عليه كأداة بناء ملتزمة . . مخلصة . . وبالتالي نجده في الخنادق المتقدمة يمهد السبل ويحشد الهمم بمادة فنية رائعة يعيشها الراكض نحو بلوغ الغاية المقدسة .

والفنان وهو يبدع . . وهو يخلق . . وهو

يواكب . . وهو يؤثر . . من واجباته ان يفعل ذلك باستمرارية وصدق . . بوله لهذا الشعب وعشق لمبادئه . . وفي المقابل للشعب أن يوفيه حقوقه في التقدير . . والعيش الكريم . . واتاحة كل الفرص للاستزادة في العطاء . . وتهيئة كل الأجواء لتحقيق انتاجية فنية راقية . .

واذا كان الفنان العربي الليبي يعد من الفنانين الرواد الذين عـاشوا ثـورتهم وتغنوا بمنجــزاتهم وجسدوا احلامهم كلمة وفكرة وحركة . . فهو ـ أي الفنان الليبي ـ الوحيد الذي لم يعرف حبا الا لثورته ولا عشقا الا لشعبه ولا ولها الا لأمته ولا اكبارا الا لأرضه . فهو الفنان الوحيد الذي منح كل شيء ولم يطلب أي شيء وهو الوحيد الذي له السبق والمبادأة في مشاركاته الايجابية دون أن ينتظر أي اشارة للبدء . .

بقي لهذا الفنان أن نكرمه ونوفيه حقه ونهيء له ظروفه وهو ما أكده قائد الثورة عند لقائه بالفنانين بمدينة درنة .



الثمن

250 درهم داخل الجماهيرية

500 درهم خارج الجماهيرية